ارسين لوبين

أسنان النمر



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف.والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الروايةالمعرّبة

أسنان النمر

(١٠)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

القسم الأول

"دون لويس بيرينا"

- ١ -

دارتنيان وبورتوس ومونت كريستو

عندما وافت الساعة الرابعة والنصف ولم يحضر مسيو "ديماليون" رئيس البوليس إلى مكتبه ، أعد سكرتيره الرسائل والتقارير التي وردت في غيبة الرئيس ، ووضعها على مكتبه ثم استدعى الحاجب وقال له :

- لقد أرسل الرئيس في طلب بعض الأشخاص ليقابلوه في الساعة الخامسة ، فعليك أن تجلس كلا منهم على انفراد وأن توافيني ببطاقة من يصل منهم أولا باول .

وناول السكرتير الحاجب رقعة من الورق سجلت فيها أسماء القادمين .

وانصرف الحاجب ، وتحول السكرتير ليعود إلى مكتبه وعندئذ فتح باب الغرفة ودخل منه رجل تبدو على وجهه علامات الاضطراب ، واستند الرجل إلى أحد المقاعد ، فما كاد السكرتير يراه حتى صاح في دهشة :

- أهذا أنت أيها المفتش "فيرو" ؟! يا لله ! ماذا دهاك ؟!

كان المفتش "فيرو" رجلا بدين الجسم ، عريض المنكبين ولكنه كان يبدو شاحب الوجه في ذلك اليوم ، وأجاب في صوت خافت :

- لا شيء يا صديقي .

- لا شيء ؟! إنك بادي الإعياء .. تتصبب عرقا .

فجفف "فيرو" جبينه ، وتمالك بعض الشيء ، ثم قال :

- إني متعب قليلا .. فقد أجهدت نفسي في هذه الأيام إذ كنت أريد أن أكشف الغموض الذي يكتنف قضية عهد الرئيس إليّ بتحقيقها ،

ويبدو انني اجهدت نفسي في العمل .. وفي الحق إنني أشعر بحالة بدنية غريبة .

- هل استدعي طبيبا ؟

- كلا .. كلا .. إني أشعر بظما شديد .

- إذن فساحضر لك كوب ماء .

فاجاب المفتش بصوت خافت شبه مختنق :

كلا .. كلا .. إني أريد ..

وكف المفتش عن الكلام .. ولهثت انفاسه .. ثم سال :

- أين الرئيس ؟

- إنه بالخارج ، ولكنه سيعود في الساعة الخامسة لحضور اجتماع مهم .

فقال المفتش :

- نعم .. إنه اجتماع مهم للغاية .. ولهذا فقد دعاني لحضوره ، ولكني أود أن أراه قبل بدء الاجتماع لأمر بالغ الأهمية .

وتأمله السكرتير مليا وقال :

- هل الأمر خطير إلى هذا الحد ؟

- نعم .. إنه أمر شديد الخطورة ، يتصل بجريمة ارتكبت منذ شهر، وسيترتب عليها حادث قتل هذه الليلة .

إلا إذا اتخذنا من ضروب الحيطة ما يمنع وقوعها فقال السكرتير :

- إنك متعب يا مسيو "فيرو" .. فهلا استرحت قليلا ؟

فقال المفتش غير عابئ بكلام السكرتير .

- إن الجريمة مدبرة بطريقة شيطانية .

- ما دمت ملما بكل شيء عن الجريمة فسيعهد الرئيس إليك حتما بإحباطها والقبض على الجناة .

- نعم .. نعم .. ولكني أتوقع الا اقابله ، ولهذا أعددت له تقريرا شاملا لكل ما أعلمه عن هذه الجريمة ووضعته في هذا الظرف .

وقدم المفتش إلى السكرتير ظرفا كبيرا مغلقا كما قدم له صندوقا

صغيرا وأردف :

- وسوف يجد الرئيس في هذا الصندوق شيئا يلقي بعض الضوء على القضية .

- ولماذا لا تحتفظ بكل هذا معك ؟

- لأنني خائف . إنهم يراقبونني ويحاولون التخلص مني . ولن اشعر بشيء من الهدوء إلا إذا تخلصت من هذا السر الخطير .

- لا تخش شيئا يا "فيرو" . وعما قريب يصل الرئيس ، ولكني أنصحك بأن تعرج على إحدى الصيدليات وتطلب عقارا منعشا .

ولكن هذه الكلمات الرقيقة لم تهدئ من روع المفتش الذي دار على عقبيه وانصرف ..

ووضع السكرتير الغلاف والصندوق فوق مكتب الرئيس وهم بمغادرة الغرفة عند ما فتح بابها مرة أخرى ودخل منه المفتش "فيرو" وهو يهتف بصوت متحشرج :

- يحسن أن .. يحسن أن ..

وتوقف عن متابعة الكلام ، واصطكت أسنانه ، ثم التفت حوله في قنوط . وتهالك فوق مقعد قريب ، ولزم الصمت فترة من الوقت .. واخيرا تنهد ومد يده فالتقط قلما ورقعة من الورق وهو يقول :

- عجبا . إني لا أفهم ماذا دهاني ! ترى هل دسوا لي السم أيضا ؟ إني خائف !

وبدا يكتب ولكنه ما لبث أن كف عن الكتابة وقال :

- لا .. لا ضرورة لكتابة المزيد ففي التقرير الكفاية .. آه ! ما الذي ألم بي ؟! أخشى ..

ونهض فجأة وانصرف وهو يقول :

- يجب .. يجب أن .. في هذه الليلة .. سوف لا يمنعه شيء في الوجود .

واخذ يتقدم بخطوات متثاقلة صوب الباب .. وكان يترنح في مشيته ، حتى وصل إلى الحمام وهناك غشيت عينيه فجأة سحابة كثيفة

فسقط على الأرض .. وصاح :

- النجدة ! النجدة ! سوف ترى علامة الأسنان الليلة . ! يا لله ، إنني أشعر بألم قاتل . ! إنه السم ! أنقذوني !

وخفت صوته حتى أصبح همسا .. وأردف :

- الأسنان ! الأسنان البيضاء ! إنها تنطبق ..

وأخذ يحرك شفتيه . ثم سقط رأسه فوق صدره .. وعرته رعدة .. ولم يلبث أن كف عن الحركة تماما .

* * *

وفي الساعة الخامسة إلا عشر دقائق وصل الرئيس إلى مكتبه .

كان مسيو "ديماليون" في الحلقة الخامسة من عمره ، بدين الجسم ، يشع من عينيه بريق الذكاء .. وكان يشغل منصبه هذا منذ خمس سنوات .. وقد عرف بالحزم وقوة الشكيمة .

ودق مسيو "ديماليون" الجرس . فاقبل السكرتير مسرعا . فسأله :

- هل حضر الأشخاص الذين بعثت في طلبهم ؟

- نعم يا سيدي .. وقد طلبت إلى الحاجب أن يبقي كلا منهم على حدة ..

- حسن . أين البطاقات ؟

فقدم له السكرتير بطاقات القادمين ، فتصفحها واحدة بعد أخرى .. وكان بيانها كالآتي :

مستر برايث - سكرتير أول السفارة الأمريكية .

الأستاذ "لويز تويه" - موثق العقود .

"جوان كاسيريس" - الملحق بمفوضية بيرو .

الكونت "داسترينياك" - حاكم سابق .

وأما البطاقة الخامسة فكانت تحمل اسم "دون لويس بيرينا" بغير لقب أو عنوان .

وقال الرئيس :

- إني أرغب في مقابلة هذا الشخص .. ألم تقرأ تقرير قيادة الفرقة

الأجنبية عنه ؟

- قراته يا سيدي و أعترف أنه لفت نظري .

- إنه رجل شجاع بغير شك . فطالما أطلق عليه أصدقاؤه اسم "ارسين لوبين" أخبرني ، منذ متى مات "ارسين لوبين" ؟

- لقد مات قبل نشوب الحرب بسنة يا سيدي .. وعثروا على جثته وجثة مدام "كيسيليانس" تحت أنقاض كوخ التهمته النار على مسافة غير بعيدة من "لوكسمبورج" . وتبين من التحقيق أنه شنق مدام "كيسيليانس" الشريرة وبعد أن أشعل النار في الكوخ شنق نفسه أيضا ..

- لقد استحق جزاءه الحق .. ولكن أين ملف قضية ورثة "مورنينجتون" ؟

- هو ذا يا سيدي على المكتب .

- حسن .. آه .. هل حضر المفتش "فيرو" .. ؟

- نعم يا سيدي . وكان متعبا فنصحت له بالذهاب إلى إحدى الصيدليات لإسعافه .

فرفع الرئيس حاجبيه في دهشة بينما مضى السكرتير يفضي إلى الرئيس بما حدث للمفتش "فيرو" . وعندئذ سأله :

- سمعتك تقول إنه ترك لي خطابا .. فأين هو ؟

فقدم السكرتير الغلاف للرئيس الذي قال :

- عجبا .. إن هذا أمر غير مألوف . فعهدي بـ"فيرو" رجل قوي الأعصاب . فلا ريب أن الأمر جد خطير فارجو أن تذهب لاستدعائه . وساقرا تقريره حتى تعود ! .

وانصرف السكرتير . ثم عاد بعد خمس دقائق وقد ارتسمت على وجهه علامات القلق الشديد .. ذلك لأنه لم يجد "فيرو" في الصيدلية .. وقال في اضطراب :

- واغرب ما في الأمر أن الحاجب يجزم بأن المفتش عاد إلى هنا ثانية .

- لعله موجود في مكتبك ؟

- لقد تبادر ذلك إلى ذهني ولكني لم أجده هناك .

- إذن أين هو ؟ .. مهما يكن . فليست هناك ضرورة لحضوره الآن . ولعله ذهب للتريض .

وتطلع "ديماليون" إلى الساعة فإذا بها قد جاوزت الخامسة بعشر دقائق . فطلب إلى السكرتير استدعاء من أرسل في طلبهم ولكنه عاد فعدل عن ذلك والتقط الظرف الذي تركه له المفتش "فيرو" . وما كاد بصره يقع على عبارة (حانة الكوبري الجديد) حتى رفع حاجبيه بدهشة ! .. وقال السكرتير :

- أرى أولاً قراءة تقرير مسيو "فيرو" يا سيدي إذ يبدو لي مما سمعته منه أن الأمر خطير .

فاطرق "ديماليون" مفكرا ، ثم قال : إنك على حق .

وفض الظرف ، ولم يلبث أن صاح : أوه ! كلا .. هذا سخف !

ودهش السكرتير وسأل :

- ماذا حدث يا سيدي ؟

- انظر .. إن الغلاف لا يحوي شيئا غير رقعة من الورق الأبيض عليها ثلاثة حروف .

- هذا أمر غريب يا سيدي فقد أكد لي "فيرو" انه سجل تقريرا وضعه في هذا الظرف متضمنا كل ما يعرفه عن القضية .

- لو لم اكن ملما باخلاق "فيرو" لحسبته يمزح .. مهما يكن من أمر ، فإن تصرفه يدهشني وخاصة انني سمعت منك أن "فيرو" قال لك إن جريمة قتل قد ترتكب الليلة .

- هذا ما سمعته منه يا سيدي .. بل لقد قال إن الجريمة سترتكب بطريقة شيطانية .

وأخذ الرئيس يروح ويغدو في الغرفة وقد ارتسمت على وجهه علامات القلق الشديد .

وصادف أن وقع بصره على العلبة التي تركها له "فيرو" .. فسأل

سكرتيره عنها ، فقال السكرتير :

- قال مسيو "فيرو" إن ما بداخلها سوف يلقي ضوءا على الحادث ويزيل غموضه .

وابتسم الرئيس ، ثم فتح الصندوق فلم يجد بداخله غير قطعة صغيرة من مادة تشبه الشوكولاتة فصاح :

- يا للشيطان ماذا يعني بهذا الصغار !

والتقط قطعة الشوكولاتة وتأملها مليا .. فإذا بها قطعة من الإسفنج بها آثار لخمس أسنان .

واستغرق "ديماليون" في التفكير ، واستأنف جولته في الغرفة وهو يقول :

- عجبا أي عجب .. ورقة بيضاء ! آثار أسنان ! ما معنى كل هذا ؟ لا ريب أن في الأمرلغزا يحتاج إلى الحل العاجل .

وصمت قليلا ، ثم استطرد :

- ليس من اللياقة أن أستبقي من أرسلت في طلبهم أكثر من هذا .. فهيا أدخلهم إلى مكتبي ولا تسمح لأحد بالدخول إلا إذا جاء "فيرو" .

وكان أول الداخلين مسيو "لويس تويه" . وهو رجل بدين الجسم ، وتبعه سكرتير السفارة الأمريكية ، فالملحق ، فالحاكم السابق .

وحياهم "ديماليون" تحية طيبة لسابق معرفته بهم .

فتح الباب مرة أخرى ودخل خامس المدعوين ، فهتف الرئيس :

- "دون لويس بيرينا" .

كان القادم رجلا متوسط القامة ، نحيفا بعض الشيء يزين صدره وسام حربي ووسام الشرف ، تتبدى البساطة في حركاته ، في الأربعين من عمره .

وحيا القادم الحاضرين .. ثم قال :

- نعم . أنا "بيرينا" يا سيدي .

فصاح "داسترينياك"

- أأنت "بيرينا" ؟ أما زلت على قيد الحياة ؟

- بلى .. وإني سعيد بلقياك يا سيدي الحاكم .

- لقد انقطعت أخبارك تماما عند ما رحلت أنا عن "مراكش" حتى أيقن الجميع أنك أصبحت في عداد الأموات .

- لقد أخطئوا في اعتقادهم . فقد كنت أسيرا .

- إن الوقوع في أسر القبائل معناه الموت المحقق .

- هذه ليست قاعدة يا سيدي . والدليل على ذلك أنك تراني حيا أمامك .

وكان رئيس البوليس يتأمل "بيرينا" بإعجاب شديد .. ثم قال :

- أرجو أن تتفضلوا جميعا بالجلوس ..

ثم استطرد بصوت هادئ :

- لعل الدعوة التي وجهتها إليكم قد أثارت دهشتكم وقد تزيد دهشتكم حين أبسط لكم ما دعوتكم من اجله . ولكني واثق بأنكم سوف تفهمون كل شيء إذا أصغيتم إلي باهتمام ..

ثم فتح الملف الموضوع أمامه .. وأردف وهو يتأمل محتوياته :

- في عام ١٨٧٠ ، أي قبل نشوب الحرب الفرنسية الألمانية بقليل ، كانت الأخوات "أرميلين" و"إليزابيث" و"أرماند" يقمن مع ابن عمهن "فيكتور" الذي كان يصغرهن بقليل . وتزوجت "أرميلين" كبرى الأخوات من رجل إنجليزي وصحبته إلى لندن . وهناك أنجبت ولدا يدعى "كوزمو" .وكانت "أرميلين" تحيا حياة شاقة اضطرتها إلى الكتابة مرارا إلى أختيها في طلب المعونة .. فلما لم تتلق منهما ردا قطعت صلتها بهما ، ورحلت مع زوجها إلى أمريكا. وبعد خمس سنوات أصاب زوجها ثروة بدلت حالهما .. ولما مات زوجها "مونينجتون" في عام ١٨٨٣ تولت هي إدارة شؤونه بمهارة ضاعفت الثروة . وعندما وافاها الأجل المحتوم ورث عنها ابنها ٤٠٠ مليون دولار .

وبهت الحاضرون . وتبادل الحاكم و"بيرينا" النظرات .ولم يخف ذلك على الرئيس فسألهما :

- أتعرفان "كوزمو مورنينجتون" ؟ فأجاب الحاكم :

- نعم يا سيدي الرئيس . لقد كان في "مراكش" عندما كنا ، "بيرينا" وأنا ، نحارب هناك . فقال الرئيس :

- هذا صحيح .. فقد كان "كوزمو" مولعا بالأسفار ، شغوفا بالطب . وكان يهب العلاج لكل من يطالبه به .. وقد سافر إلى "مصر" و"مراكش" و"الجزائر" ثم عاد إلى "امريكا" في عام ١٩١٤ ليؤيد مبادئ الحلفاء ، فلما وضعت الحرب أوزارها رحل إلى "باريس" . ومنذ أربعة أسابيع لقي المسكين حتفه في حادث غاية في البساطة . فقال سكرتير السفارة:

- لقد ذكرت الصحف ، كما نما إلى علمنا في السفارة أنه حقن نفسه بإبرة ملوثة فتسمم ومات ..

فقال رئيس البوليس :

- نعم .. فقد أراد أن يتخلص من إنفلونزا لازمته طول الشتاء ، فحقن نفسه بمادة "الجليسرو فوسفات الصودا" طبقا لتعليمات طبيبه الخاص ولم يعقم الإبرة جيداً ، فتسمم ومات في بضع ساعات .

وتحول الرئيس إلى الموثق قائلا :

- أليس كذلك يا أستاذ "تويه" ؟

وأمن الموثق على اقوال "ديماليون" قائلا :

- بلى .

فاستطرد الأخير :

- وفي صباح يوم الوفاة زارني الأستاذ "تويه" لأسباب تتعلق بهذا الموضوع وأطلعني على الوصية التي تركها لديه مسيو "كوزمو" .

وفيما كان رئيس البوليس يتأمل الأوراق التي أمامه قال الأستاذ "تويه":

- أرجو أن يسمح لي سيدي الرئيس بأن أؤكد لحضراتكم ، أنني لم أقابل المسيو "كوزمو" إلا مرة قبل وفاته .. وكان ذلك عندما أصيب بالأنفلونزا .. واستقبلني في غرفته حيث قال لي : إنه يرغب في معرفة ورثة أمه وأنه سيواصل بحثه عنهم بعد شفائه.

وهنا أخرج رئيس البوليس رقعتين من الورق من الملف الموضوع أمامه ، طوى كبراهما ثم قال :

- هذه هي وصية المسيو "كوزمو" وساقرؤها عليكم وكذا ملحقاتها .. وستعلمون منها أن المسيو "كوزمو" وهب نصف ثروته لوطنه ، أما النصف الآخر - وهو مودع في مصارف مختلفة بإنجلترا وفرنسا - فقد وهبه لورثة أمه احتراما لذكراها .. وكما تعلمون بأن الوريثتين هما "إليزابيث روسل" و"أرمندا روسل" وورثتهما . فإن لم يكن لهما ورثة آلت الثروة إلى ابن عمهما "فيكتور" وورثته من بعده .. وقد أوصى مسيو "كوزمو" المسيو "بيرينا" بالبحث عن هؤلاء الورثة فيما إذا وافته المنية قبل أن يعثر على ورثته .. وقد ترك له مليونا من الفرنكات اعترافا بفضله وخاصة لأن مسيو "بيرينا" أنقذ حياته مرتين من الموت .

فتمتم "دون بيرينا" :

- مسكين مسيو "كوزمو" .. مهما يكن من أمر فإنني لست بحاجة إلى هذه الثروة ولكن وصية الميت واجبة الاحترام .

وقال "ديماليون" :

- لقد أوصى مسيو "كوزمو" بأنه إذا لم يعثر على ورثة أمه فإنه يهب ثروته كلها لمسيو "بيرينا" .

فقال الحاكم لـ"بيرينا" وقد طفرت الدموع من عيني الأخير :

- لك تهنئتي الصادقة يا سيدي . فقال "بيرينا" :

- إنني على استعداد لقبول هذه الهبة بشرط .. ولو كان الأمر بيدي لمضيت في البحث عن الورثة . فقال الرئيس :

- إنك لن ترفض الثروة على كل حال ..

فأجاب "بيرينا" باسما :

- بالتأكيد لا ..

فتابع الرئيس قراءة الوصية . وقد جاء بها إنه في حالة غياب "بيرينا" أو موته فإن "كوزمو" يعهد إلى سفير أمريكا في "باريس" وكذلك

إلى رئيس البوليس الفرنسي ببناء جامعة في "باريس" للطلبة الأمريكيين . كما أنه يهب مساعدي رئيس البوليس ثلثمائة الف فرنك .

وانتهى الرئيس من تلاوة الوصية . وشرع يقرأ الوثيقة الملحقة بها، وقد جاء فيها أن مسيو "كوزمو" يامر الأستاذ "تويه" بالا يطلع على وصيته إلا بحضور رئيس البوليس في اليوم التالي لوفاته ، وألا تنشر أو تذاع إلا بعد انقضاء شهر على موته على أن يكون ذلك في اجتماع يحضره مندوب مسؤول من السفارة الأمريكية والأستاذ "تويه" و"بيرينا" وبعد قراءة الوصية والتحقق من شخصية مسيو "بيرينا" بمواجهته بالحاكم "داسترينياك" الذي كان يعمل تحت إمرته في "مراكش" يسلم مسيو "بيرينا" شيكا بمبلغ مليون فرنك على أن يكون التسليم بمعرفة مندوب من مفوضية بيرو لأنها مسقط رأس "بيرينا" رغم تمتعه بالرعاية الإسبانية .. وأخيرا يوصي "كوزمو" رئيس البوليس بدعوة هؤلاء الأشخاص ليقرأ عليهم الوصية ويعلن فشل الجهود التي بذلت للعثور على ورثة عائلة "روسل" أو ابن عمه "فيكتور" أو من يرثه شرعا ..

ووجه الرئيس كلامه إلى الحاضرين .. فقال :

- أيها السادة . هذا هو الغرض من دعوتكم إلى هذا الاجتماع . ولقد كلفت أحد مساعدي بالبحث عن عائلة "روسل" . ومن المحتمل أن يعود هذا المساعد الآن .. ولكني سأبدأ من الآن بتنفيذ نصوص الوصية .. إن الأوراق الشخصية التي قدمها "بيرينا" إليّ بناء على طلبي قانونية لاغبار عليها . وقد عهدت إلى قنصل "بيرو" بأن يوافيني بمزيد من المعلومات عن مسيو "بيرينا" ، فارجو أن يدلي إلينا بما في جعبته .

فقال مندوب قنصل "بيرو" .

- لقد كلفني القنصل بهذه المهمة ، ولدي ما يثبت أن "بيرينا" من عائلة إسبانية عريقة هاجرت إلى "بيرو" منذ ثلاثين عاما ولكنها بقيت محتفظة بأملاكها في إسبانيا . وعندما كنت في امريكا تقابلت مع والد مسيو "بيرينا" الذي حدثني كثيرا عن ابنه .. وقد ارسلنا إلى

"بيرينا" نبأ وفاة أبيه منذ خمسة أعوام وها هو ذا نص الرسالة التي كتبناها له في هذا الصدد وبعثناها إليه في مراكش .

فقاطعه الرئيس :

- إن الخطاب نفسه موجود هنا ..

وتحول إلى الحاكم وساله :

- هل تجزم بأن الشخص الموجود هنا هو مسيو "بيرينا" الذي حارب تحت قيادتك ؟

فاجاب الحاكم : نعم .. إنه هو .

- أليس هناك أي لبس ؟

- نعم .. ليس هناك ما يريب .

فابتسم رئيس البوليس وقال :

- أليس هو "بيرينا" الذي أطلق عليه زملاؤه اسم "أرسين لوبين" لفرط شجاعته ؟

- بلى .. إنه هو بعينه يا سيدي الرئيس .. إنه البطل.. المقدام "كدارتنيان" القوي "كبورتوس" العجيب "كمونت كريستو"

فقال الرئيس :

- لقد قرأت كل هذه الأوصاف في تقرير الفرقة الأجنبية .. فقد جاء به أنه منح الوسام الحربي ووسام الشرف لخدماته الاستثنائية وذكر اسمه سبع مرات في تقارير القيادة .

فبدا الارتباك قليلا على وجه "بيرينا" وقال :

- أرجو الا يعير سيدي الرئيس مثل هذا الإطراء التفاتا .

- بل من دواعي الفخر العظيم .. انني لم أدع هؤلاء السادة هنا لأقرأ عليهم نصوص الوصية فحسب . وإنما لأنفذ أيضا الشرط الوارد في الوصية القائل بوجوب تسليمك مليونا من الفرنكات ولهذا فإنني أرى لزاما علي أن أحدد لهم بالضبط شخصية الوريث ومكانته .

فنهض "بيرينا" ليستأذنه في الانصراف . ولكن الرئيس أمره بلهجة عسكرية قصد بها المزاح أن يجلس . وقال الحاكم :

- سيدي الرئيس .. أرى إعفاء صديقي "بيرينا" من سرد تاريخ حياته المجيد لأن ذلك يخجل تواضعه .. وعلى كل حال فإن التقرير في متناول أيدي الجميع ، وإنني أؤيد كل ما جاء به دون الاطلاع عليه . فقد رأيته بنفسي يقوم بأعمال بلغت من الغرابة حدا يجعلني أسأل نفسي حتى الآن : هل كان حقا مارأيته ؟

وأنشأ الحاكم يحدث الحاضرين ببعض الحوادث الخارقة التي أقدم "بيرينا" عليها . فأسرع الأخير يستوقفه ، منذرا بالانسحاب إذا لم يكف الحاكم عن متابعة هذا الحديث فاستأنف الحاكم :

- إنه مما يسرني يا مسيو "بيرينا" أن أعرف كيف هربت من الأسر في صيف عام ١٩١٥ ولم تعد إلا منذ شهر واحد .. فإنني مازلت دهشا كيف أوصى "كوزمو" لك بثروته مع علمه بأنك أسير فقد كتب هذه الوصية منذ أربع سنوات .

فأجاب "بيرينا" :

- كنا نتراسل سرا . وقد كتبت أبلغه قرب موعد هربي وعودتي إلى "باريس" .

- وأين كنت في هذا الوقت ؟ وكيف هربت من الأسر ؟

فابتسم "بيرينا" ولم يجب .. فصاح الرئيس :

- ترى هل لعبت دور الكونت "دي مونت كريستو" ؟

- يمكنك أن تدعوني "مونت كريستو" .. فلقد كانت حياتي عجيبة حقا أثناء الحرب .. فإذا أردتم فسأقص عليكم طرفا منها..

فأرهف الجميع أسماعهم .. ولكن الرئيس قطع حبل الصمت بقوله :

- لدي سؤال أخير أرجو الإجابة عنه أولا .. هل كانت قوتك أم جرأتك هي التي جعلت زملاءك يطلقون عليك اسم "أرسين لوبين" .

- كلتاهما يا سيدي .. وهناك أسباب أخرى جعلتهم يطلقون علي ذلك الاسم . فقد أزحت الستار عن جريمة سرقة غامضة .

- وهل كان هذا الحادث خطيرا ؟

- نعم . فقد سرقت وثائق مهمة من "كوزمو مورنينجتون"

فاستعدتها إليه . ومنذ هذا التاريخ توثقت الصداقة بيننا . مسكين "كوزمو" .. لقد فزت بثقته إلى درجة أنه استحلفني أن أسلم المجرم للعدالة فيما إذا مات قتيلا وقد كانت فكرة القتل هذه راسخة تماما في ذهنه .

فقال الرئيس :

- ولكن هذه النبوءة لم تتحقق فإنه لم يمت مقتولا ؟

- إنك مخطئ يا سيدي الرئيس .

فهب رئيس البوليس وصاح :

- وكيف ذلك ؟

- إني أؤكد لك أن موت "كوزمو" لم يكن بسبب تلوث الإبرة فقد قتل غيلة .

- وهل تعلم شيئا عن موته ؟ هل كنت موجودا في هذا الوقت ؟

- كلا .. ثم إنني لا أطلع على الصحف بصفة منتظمة ولهذا كنت أجهل أنه مات حتى جئت إلى هنا .

- إذن ما الذي يحملك على الاعتقاد بأن "كوزمو" مات مقتولا ؟

- لقد قلت يا سيدي : إن "كوزمو" كان مولعا بالطب . فهل من المعقول أن يخطئ رجل هذه هويته في تعقيم إبرة الحقنة ؟ ثم هل من المعقول أن يكون تلوث هذه الإبرة من القوة بحيث يودي بحياة الرجل في غضون ساعات معدودات .

- إذن .. ؟

- إذن فقد حرر الطبيب شهادة الوفاة بغير أن يفحص جثة مسيو "كوزمو" .

وتوجه "برينا" بالسؤال إلى الأستاذ الموثق :

- ألم يلفت نظرك شيء على جسم مسيو "كوزمو" عندما دعيت لمقابلته وهو على فراش الموت ؟

- كلا : آه .. بلى ! لقد لاحظت وجود بعض البقع الحمراء على جسمه .

- إذن فقد تحققت نظريتي من أن "كوزمو" مات مسموما !
فصاح رئيس البوليس :
- وكيف كان ذلك ؟
- لقد مزج سائل الحقنة بمادة سامة .
وسأل "بيرينا" الأستاذ "تويه" .
- ألم تلفت نظر الطبيب إلى هذه البقع ؟
- بلى .. ولكنه لم يبد اهتماما بها .
- وأين كان طبيب "كوزمو" الخاص ؟
- كان طبيبه الخاص وصديقه الدكتور "بوجول" غائبا . وأما الطبيب الآخر فكان من سكان المنطقة التي حدثت بها الوفاة .
فقال "ديماليون" .
- ها هو ذا اسمه والشهادة التي حررها . وعنوانه هو : الدكتور "بيلافوان" رقم ١٤ شارع "استورج" .
فقال "بيرينا" :
- هل لديك دليل لأسماء الأطباء يا سيدي الرئيس؟
فبحث الرئيس عن الاسم في الدليل .. ثم صاح قائلا :
- لا يوجد طبيب بهذا الاسم في الدليل .
وساد صمت طويل في الغرفة قطعه "ديماليون" أخيرا بقوله :
- إن هذه الظروف مجتمعة .. والبقع الحمراء ...
وكف عن الكلام .. وانثنى إلى "بيرينا" قائلا :
- إذن فهناك ارتباط بين التسمم والوصية على حد قولك ؟
- في اعتقادي أن مجهولا اطلع على الوصية .
فسأل الرئيس :
- هل تعتقد ذلك يا أستاذ "تويه" .
فأجاب الموثق :
- لا أعتقد ذلك لأن "كوزمو" كان يتكتم كل أعماله.
- أليس من الجائز أن يكون هذا المجهول قد اطلع على الوصية في

مكتبك ؟

- هذا مستحيل لأني احتفظ بالوثائق المهمة في خزانتي

فسأله "بيرينا" :

- هل تسلمت الوصية في صباح أحد الأيام ؟

- نعم .. تسلمتها في صباح يوم الجمعة .

- وأين وضعتها حتى المساء ؟

- في أحد أدراج مكتبي

- اتجزم بأن هذا الدرج لم يفتح عنوة ؟

فدهش الموثق وهتف :

- نعم .. لقد تذكرت الآن .. حدث بعد أن تناولت طعام الفطور وعدت إلى مكتبي في هذا اليوم أن وجدت الدرج غير مغلق كما تركته .

وهكذا برزت براعة "بيرينا" في الاستنباط .. وقال الرئيس :

- سوف نتأكد من كل هذه الأمور عندما يعود مساعدي الذي عهدت إليه بتحقيق هذه المسألة .

فقال الموثق :

- اتعني مهمة البحث عن ورثة "كوزمو" ؟

- عن الورثة أولا ، ثم .. لقد أشار مساعدي لسكرتيري إلى جريمة قتل منذ شهر .. وها هو ذا المسيو "كوزمو" قد قتل فعلا منذ شهر .

ودق الرئيس الجرس ، ولما أقبل السكرتير قال له :

- أريد منك أن تستدعي المفتش "فيرو" .

- إنه لم يحضر بعد يا سيدي .

- أبحثوا عنه في كل مكان . فإني أريد التحدث إليه فورا .

وأدار الرئيس دفة الحديث نحو "بيرينا" ، وقال له :

- لقد حضر المفتش "فيرو" منذ ساعة وكان مصابا بإعياء شديد .. وقد زعم أنه مراقب ، وقال إن لديه معلومات مهمة عن قضية "كوزمو" .. وأكد أنه سيقتل اثنان في هذه الليلة بسبب هذه القضية .

- أكان شديد الإعياء ؟

فقال السكرتير :

- نعم يا سيدي ..

وقال الرئيس :

- وقد رأى من الصواب أن يترك لي تقريرا عن القضية . ولكني لم أكد أفض الظرف الذي تركه حتى وجدت بداخله ورقة بيضاء .. وها هو ذا الغلاف والورقة التي كانت بداخله . كذا الصندوق الذي قال إنني سأجد بداخله شيئا مهما يفيد في تحقيق القضية ولم أجد به غير قطعة من الإسفنج بها آثار أسنان .

- هل تأذن لي بفحص هذه الأشياء يا سيدي ؟

- ولكنها لن تفيدك في شيء .

فهز "بيرينا" كتفيه ، وتناول الصندوق والظرف وكان مكتوبا على الأخير (حانة الكوبري الجديد) . وقال :

- إن الخط الذي كتب به الغلاف يخالف ذلك الذي كتب على الصندوق .. فإن الأخير مهتز ومقلد مما يدل على أن هذا الغلاف لم يكن ملكا للمفتش من قبل يا سيدي الرئيس وعندي أن ما حدث هو أن المفتش "فيرو" وضع تقريره في ظرف ولم يعن بالاحتفاظ به فسرقه مجهول ووضع بدلا منه الظرف الحالي الذي لم يكن يحوي شيئا غير قطعة الورقة البيضاء .

- هذا مجرد افتراض يا "دون بيرينا" .

- نعم .. ولكن ادعاء "فيرو" انه مراقب صحيح لأن البحث الذي تولاه سيسيء حتما إلى المجرمين ، ولهذا يجب إنقاذه بغير إبطاء

فقال الرئيس :

- لا ضرورة للسرعة فإنه سيعود بعد قليل .

- لن يعود "فيرو"

- وكيف ذلك ؟

- لأنه عاد وراه الحاجب .

- إن الحاجب معرض للسهو كباقي الناس .. ثم : هل لديك دليل

آخر؟

- نعم .. إن هذه الكتابة الغامضة التي استرعت انتباهي وغابت عن نظر السكرتير دليل قاطع على عودة "فيرو" .

فبدت علامات الفزع على وجه رئيس البوليس ، كما وجم الباقون .

فقال "بيرينا" :

- أرى أن نسأل الحاجب .

وجيء بالحاجب . فسأله "بيرينا" :

- أواثق بأن "فيرو" عاد ثانية ؟

فأجاب الرجل :

- نعم يا سيدي .

- ألم تغفل عن المراقبة ولو دقيقة واحدة ؟

- كلا يا سيدي .

فصاح رئيس البوليس :

- لو كان "فيرو" هناك لعلمنا بوجوده .

- إنه هنا يا سيدي .

- وكيف ذلك ؟

- إذا دخل شخص هذه الغرفة ولم يغادرها فمعنى ذلك أنه موجود بها .

- اتعني أنه مختبئ هنا ؟

- كلا .. بل ربما .. أغمي عليه .

فصاح الرئيس :

- يا للشيطان ! أين هو إذن ؟

- وراء هذا الحاجز !

- ليس وراء هذا الحاجز غير باب يؤدي إلى الحمام .

- هو إذن داخل الحمام

فاسرع الرئيس إلى الحمام وما إن فتح بابه حتى تراجع إلى الوراء وهو يصيح :

- يالله ! كيف أصدق كل هذا ؟

- لا تنس يا سيدي إن تحذير "فيرو" يرمي إلى إنقاذ الذين سيلقون حتفهم الليلة .

وحمل الحاضرون "فيرو" إلى أريكة ، ولاحظوا أنه لا يزال على قيد الحياة .

وتامل "بيرينا" المفتش "فيرو" مليا ، ثم قال :

- انظر يا سيدي الرئيس ، ها هي ذي البقع الحمراء .

فبهت الجميع ، وصاح الرئيس بسكرتيره :

- اسرع باستدعاء الطبيب .. يجب الا ندخر وسعا في إنقاذ المفش التعس .

فرفع "بيرينا" يده وقال :

- لا ضرورة لذلك .. يجب أن نفيد من كل دقيقة .

وانحنى فوق "فيرو" .. وقال له :

- أنا الرئيس يا "فيرو" .. إنني أريد الوقوف على بعض المعلومات عن الجريمة التي ستحدث الليلة .. إذا كنت تسمعني فحرك جفنيك .

فتحرك جفنا المفتش .. فتابع "بيرينا" الكلام قائلا :

- إننا نعلم أنك عثرت على ورثة "كوزمو" ولكننا نجهل أسماءهم لأنهم يحملون لقب "روسل" .. أصغ إليّ .. لقد كتبت هنا ثلاثة حروف يبدو أنها تكون كلمة "فوف" .. فهل أنا مخطئ ؟ هل هذه بداية أحد الأسماء ؟ وما هو الحرف الرابع ؟ أهو "ب" أم "ج" ؟

ولكن "فيرو" لم يتحرك ، وسقط راسه فوق صدره ، وتنفس ثلاث مرات ، ثم أسلم الروح .

-٢-

الرجل الذي يجب أن يموت

كان الموقف أليما حقا حتى لقد ظل الحاضرون مشدوهين وقتا غير قصير .

وركع الموثق على ركبتيه وأخذ يبتهل ، بينما أخذ الرئيس يتمتم:

- مسكين "فيرو" .. لقد كان بطلا أدى واجبه وضحى بحياته في سبيله .

فسأله "بيرينا" :

- هل ترك زوجة وأطفالا ؟

- نعم .. إنه متزوج وله ثلاثة أطفال .

- حسنا .. سأعنى بأمرهم .

وحضر الطبيب في تلك اللحظة .. فقال له مدير البوليس :

- ليس هناك أقل شك في أن "فيرو" قد مات بالسم .. انظر إلى هذه البقع الحمراء ، إنها بغير شك نتيجة حقن الرجل المسكين بإبرة ملوثة بالسم .

ونقلت الجثة بعد ذلك من الغرفة . واستأذن مندوب السفارة الأمريكية ومندوب قنصلية بيرو في الانصراف ، وتبعهما الحاكم "داستريناك" بعد أن أزجى التهنئة إلى "بيرينا" .

وتهيأ "بيرينا" والموثق للانسحاب بعد أن تواعدا على اللقاء ليتسلم "بيرينا" شيكا بالمليون فرنك ، ولكن رئيس البوليس عاد في تلك اللحظة. وصاح :

- آه ! أما زلت هنا يا "بيرينا" ؟ هذا حسن .. هل أنت واثق بأن الحروف الثلاثة المكتوبة على هذه الورقة تكون بداية اسم "فوف" ؟

- هذا أغلب ظني .

وتصفح الرئيس بريده .. والتقط خطابا وصاح مبتهجا :

- ها هو ذا الاسم باكمله .. إن الرسالة ممهورة بتوقيع "فوفيل" إن الكتابة مهتزة ، فلابد أن كاتبها يعاني الحمى . ولكنه لم يكتب عنوانه.. أصغ إلي فسأتلو عليك الرسالة .

"عزيزي مدير البوليس :

"إننا ، ابني وأنا ، مهددان بالموت في أية لحظة .. وساتي لمقابلتك صباح غد لأحدثك بما يبرر مخاوفي فارجو ان تحميني ".

وقال الرئيس معقبا :

- هذا يتفق تماما مع تصريحات "فيرو" . فالمسيو "فوفيل" وابنه مهددان بالقتل في هذه الليلة ، ولكني لا أستطيع أن افعل شيئا من اجلهما لأن اسم "فوفيل" شائع جدا في هذه المدينة .

- ولكن يجب حمايتهما باي ثمن ؟

- هذا صحيح . ولهذا فلن ادخر وسعا في هذا السبيل على الرغم من ضعف املي في النجاح .

- هناك شخصان مهددان بالموت ، ومع ذلك فنحن عاجزون عن حمايتهما .. هذا مخيف يا سيدي ، يجب أن تجند رجالك ونشاطك لتأمين سلامة هذين الرجلين .

- إن هذا من شان إدارة الأمن العام والنيابة .

- بالتاكيد .. ولكن الا تعتقد أن لرئيس البوليس ان يتصرف أحيانا بما تقضي به الظروف ؟

واقبل السكرتير في تلك اللحظة وقدم للرئيس بطاقة تقول : إن صاحبها يلح في مقابلته .

وما كاد بصر رئيس البوليس يقع على البطاقة حتى هتف بارتياح :

- شكرا لله ! هو ذا "هيبوليت فوفيل" قد جاء . وهو مهندس وعنوانه شارع "سوشيه" رقم ١٤ .. لقد أصبح الآن في وسعنا كشف النقاب عن هذه الطلاسم والمعميات فإذا كان "فوفيل" هذا هو أحد الورثة فستصبح مهمتنا سهلة .

فقال "بيرينا" مذكرا :

- أرجو أن تذكر يا سيدي الرئيس أن مسيو "كوزمو" اشترط عدم إبلاغ الورثة نصوص الوصية قبل انقضاء ثمان وأربعين ساعة على قراءتها .. أي غدا .

وفتح باب الغرفة في تلك اللحظة .. ودخل منه رجل كان يتمتم قائلا:

- المفتش .. المفتش "فيرو" ! لقد مات .. أليس كذلك ؟

فأجابه مسيو "ديماليون" :

- بلى يا سيدي .. لقد مات .

- إذن فقد جئت متأخرا ؟! يا للأوغاد ! يا للأوغاد !

كان القادم في الخمسين من عمره أصلع الرأس . شاحب الوجه غائر الصدغين تترقرق الدموع في عينيه .

سأله الرئيس :

- من تعني يا سيدي ؟ أتعني الذين قتلوا المفتش "فيرو" ؟ أيمكنك أن تساعدنا في القبض عليهم ؟

فهز "فوفيل" رأسه . وقال :

- كلا .. كلا . لا يمكنني أن أقدم لكم أية معونة في الوقت الحاضر .. فإن ما لدي من أدلة لا يكفي لإدانتهم .

وتهيأ القادم للانصراف وهو يقول :

- لقد أزعجتك يا سيدي بغير مبرر أو فائدة .. كنت أعتقد أن "فيرو" لا يزال على قيد الحياة .. ترى ألم يفض إليكم بشيء ؟

- أتعني ما سيحدث هذا المساء ؟

- آه .. إذن فقد حان الوقت ؟! كلا .. إنهم لن يتمكنوا من إلحاق أي أذى بي الآن لأنهم غير مستعدين .

- ولكن "فيرو" يؤكد أن جريمتين سترتكبان في هذه الليلة ؟

- كلا يا سيدي الرئيس .. إنك مخطئ لأنهم سوف يرتكبون جريمتهم غدا مساء وعندئذ سوف يسقطون في الفخ يا للأوغاد .

فاقترب "بيرينا" من الرجل وقال له :

- هل اسم والدتك "ارميلين روسل" ؟
- نعم ، ولكنها ماتت .
- ألم تكن من "سانت أتينيا" ؟
- بلى ، ولكن فيم هذه الأسئلة ؟
- سنوضح لك كل شيء غدا .

وفتح "بيرينا" الصندوق الصغير الذي تركه "فيرو" ، وقدمه للزائر وساله :

- ألا تذكرك قطعة الشوكولاتة هذه بشيء .. وبخاصة آثار الأسنان التي فيها ؟

فأجاب الرجل بصوت خافت :

- بلى .. ولكن أين وجدها "فيرو" ؟

واتجه الزائر نحو الباب مسرعا وهو يقول :

- إني منصرف وسوف أعود غدا ومعي وثائق تفيد البوليس ، وأرجو أن أظفر بحماية القانون .. إني أريد أن أتمتع بالحياة فهذا حقي كبقية الناس .. وكذلك ابني .. يا للأوغاد !

وهرول على عجل ، فنهض الرئيس واقفا وهو يقول :

- سآمر بمراقبة منزله مهما يكن .. لقد اتصلت بإدارة الأمن العام وإني في انتظار رجل أثق به كل الثقة .

فقال "بيرينا" :

- اتوسل إليك أن تأذن لي يا سيدي الرئيس بان أتتبع القضية وأطارد المجرمين لان هذه هي وصية "كوزمو" .

ودهش الرئيس ، فقد كان يعلم أن ظهور وريث معناه حرمان "بيرينا" من القسم الأكبر من ثروة "كوزمو" . وأخذ يتساءل هل من العقل في شيء أن يجازف "بيرينا" بحماية "فوفيل" مع أن ذلك سيؤدي إلى انكماش نصيبه من الثروة إلى مليون فرنك فقط .

وتامل رئيس البوليس "الدون بيرينا" هنيهة ، ثم استدعى سكرتيره وساله :

- ألم يحضر أحد من إدارة الأمن العام ؟

- لقد حضر المفتش "مازيرو" يا سيدي .

- إذن أدخله .

وتحول الرئيس إلى "بيرينا" وقال :

- إن "مازيرو" من أبرع رجالنا . لقد كان دائما يلازم "فيرو" التعس وسوف يفيدك كثيرا .

ودخل "مازيرو" إلى الغرفة في تلك اللحظة ، وكان رجلا قصير القامة، مفتول الساعدين ، ذا شارب كث . فقال له الرئيس :

- لقد علمت بالتأكيد بنبأ وفاة "فيرو" والظروف القاسية التي أحاطت به ، فيجب أن نثأر له ، كما أن علينا أن نحول دون ارتكاب جريمتين مدبرتين . فعليك أن ترافق مسيو "بيرينا" وسيمدك بما لديه من معلومات ، وأرجو أن تكتب لي تقريرا مفصلا بكل ما يحدث أولا بأول .

وغادر "بيرينا" الغرفة يرافقه "مازيرو" . وفي الخارج أخذ "بيرينا" يشرح له تفاصيل ما حدث . فبهت "مازيرو" ، ولكنه أعجب أيما إعجاب ببراعة زميله .

وانطلقا من فورهما إلى حانة الكوبري الجديد ، وهناك علما أن "فيرو" كان من المترددين على الحانة ، وأنه كتب رسالة مطولة في صباح ذلك اليوم .. وأن رجلا كان يجلس على منضدة مجاورة وكان يكتب أيضا .. وقد طلب الأخير أغلفة صفراء اللون .. فقال "مازيرو" لـ"بيرينا" .

- لقد صحت تكهناتك يا سيدي .. فقد استبدلت برسالة مسيو "فيرو" رسالة أخرى .

ووصف خادم الحانة الذي استقيا منه هذه المعلومات الرجل المجهول بأنه كان طويل القامة كث اللحية . يمسك بيده عصا من الأبنوس لها مقبض من الفضة على شكل بجعة فقال "مازيرو" :

- إن هذا الوصف يفيدنا بعض الشيء .

وتاهب الرجلان للانصراف من الحانة .ولكن "بيرينا" ما لبث ان استوقف زميله قائلا :

- مهلا لحظة !

- لماذا ؟

- إن شخصا يتبعنا .

- كيف ذلك ؟ ومن هو ؟

- لا تنزعج .

- بل إني على استعداد لمعالجة مثل هذه الأمور .

وعاد "بيرينا" بعد لحظات ومعه رجل طويل القامة .. هزيل الجسم .. وقدمه إلى "مازيرو" بقوله :

- هو ذا مسيو "كاسيريس" الملحق بمفوضية "بيرو" ، لقد كان يشهد اجتماعا بمكتب الرئيس منذ قليل .. فقد بعث به قنصل بيرو خصيصاً لحضور هذا الاجتماع كيما يدلي بما لديه من أدلة على صحة شخصيتي .

وتحول "بيرينا" إلى "كاسيريس" وقال له متلطفا :

- إذن فانت تبحث عني يا عزيزي "كاسيريس" ؟ لقد كنت اتوقع ذلك عندما انصرفنا من مركز البوليس .

فبدا الضيق على وجه "كاسيريس" لوجود "مازيرو" ، فاسرع "بيرينا" يقول :

- ارجو الا تتضايق من وجود "مازيرو" .. فإن في استطاعتنا أن نتكلم أمامه بكل صراحة لأنه صديقي .. وهو على علم بكل شيء .

ودعا "بيرينا" سكرتير القنصلية للجلوس ، وقال له :

- إننا على اتفاق بالتاكيد ..فانت تريد الحصول على نصيبك من المال ، فما هو المقدار الذي تريده .

فظهر الارتباك على وجه "كاسيريس" . وتطلع إلى "مازيرو" في ارتياب . ولكنه لم يلبث أن استرد رباطة جاشه وقال :

- خمسون الف فرنك .

فصاح "بيرينا" .

- يا لك من جشع ! ما رايك يا مسيو "مازيرو" .. إن خمسين الف فرنك مبلغ كبير جدا .. أصغ إلي يا "كاسيريس" .. لقد التقينا منذ عدة سنوات في الجزائر .. وطلبت إليك أن تضيف إلى اسم "بيرينا" القابا رنانة لا يتطرق إليها الشك فقبلت هذا العرض إزاء مبلغ عشرين الف فرنك .. وعندما طلب إليّ رئيس البوليس أن اقدم إليه وثائق تثبت شخصيتي علمت انك كلفت بالتحري عن شخصيتي فقدمت للرئيس وثائق من الطراز الأول .. ولهذا فإنني على استعداد لأن أعطيك مبلغ العشرين ألف فرنك المتفق عليه .

فتشجع مندوب قنصلية "بيرو" ، وقال :

- لقد كنت أعتقد أنك ترمي من وراء طلبك هذا إلى تحقيق اغراض شخصية ، ولكنني أرى اليوم أنك تتذرع بهذه الألقاب لتنتحل شخصية الوريث الوحيد[كوزمو مونينجتون" ولا شك في أنك ستتمكن بواسطة هذا التزييف من الحصول على إرث يقدر ببضعة ملايين .. كلا يا صديقي .. إن الاتفاق السابق لم يعد ملائما لما طرا على الموقف من تطور .

فبهت "بيرينا" لهذا المنطق وقال :

- ولنفرض انني رفضت المناقشة في هذا الموضوع ؟

- إذا رفضت فإنني سوف أصارح الرئيس بانني اخطات في التعرف على شخصية "بيرينا" فلا تحصل على شيء وتعرض نفسك لخطر السجن .

- لن يكون مصيري أسوأ من مصيرك على كل حال ..

- انا ؟

- نعم ... لأنك تعمدت التضليل في حقوق مدنية .. ولن اقبل ان اكون الضحية وحدي .

ولم يجب "كاسيريس" .. واستغرق في التفكير . فقهقه "بيرينا" ضاحكا وقال :

- لا تكن غبيا . فقد حاول كثيرون قبلك إيقاعي فلاقوا مصائر محزنة.. هيا وعد إلى اتفاقنا السابق والق سلاحك ولا تحاول أن تعترض طريقي مرة أخرى .

واخرج "بيرينا" دفتر الشيكات من جيبه وقال :

- خذ يا صديقي شيكا بالمبلغ الذي اتفقنا عليه وانصرف .

وكان "بيرينا" يتكلم بلهجة صارمة فلم يسع "كاسيريس" إلا الإذعان بغير معارضة أو تردد .

وسال "بيرينا" "مازيرو" :

- ما رايك في كل هذا يا "مازيرو" ؟

فحدق "مازيرو" .. وهتف :

- إذن فانت ..

- ماذا ؟

- من أنت بحق السماء ؟

- من انا ؟ أما زلت تجهل من انا ؟ أنا من أمراء "بيرو" . أو من أمراء إسبانيا أو "الدون لويس بيرينا" .

- هذا كذب .. فإني أعلم ..

- انني "الدون لويس بيرينا" من الفرقة الأجنبية .

- كفى يا هذا !!

- واكثر من هذا انني حائز لأرفع الأوسمة .

فصاح "مازيرو" محنقا :

- كفى أيها الأفاق .. إني أصر على اصطحابك إلى مركز البوليس .

- دعني أفض إليك ببقية القصة .. انا إذن من الفرقة الأجنبية ومن الأبطال المعروفين .

- كلا .. كلا .. لأن ..

- لأن ماذا ؟

- لأنك ميت !

- إنك مجنون بلا شك .. ما كل هذه الخيالات ..

- إنها قصة حقيقية .. لقد سألتني عن شخصيتي وهانذا أعدد لك مواهبي . فهل تريد أن أذكر لك المزيد ؟

فامسك "مازيرو" بيد "بيرينا" في قوة وعنف وصاح :

- إني أجهل من انت . وسوف نتفاهم في مركز البوليس .

- اخفض صوتك يا "اسكندر" !

فبهت "مازيرو" وتراخت قبضته وأخذ يحملق إلى وجه "بيرينا" .

ومضى "بيرينا" يقول :

- اتجهل من انا أيها الأبله ؟

فلم ينبس "مازيرو" ببنت شفة ..وجحظت عيناه ..

واستغرق في التفكير لعله يجد حلا لكل هذه الطلاسم فقد كان لصوت "بيرينا" في نفسه وقع الصواعق وبخاصة عندما سمعه ينطق باسم "اسكندر" الذي كان يطلقه عليه شخص معين في الماضي البعيد .

تمتم قائلا :

- الزعيم .. الزعيم ؟

- ولم لا ؟

- ثم ماذا ؟! وهل يمنعني الموت من أن أعيش كبقية الناس ؟

وإذ ازداد ارتباك "مازيرو" وضع "بيرينا" يده على كتفه وقال مشجعا:

- من الذي الحقك بالبوليس ؟

- مسيو "لينور ماند" مدير إدارة الأمن العام .. وقد كان رئيسي فيما سبق .

- أتعني بذلك "ارسين لوبين" ؟ أليس كذلك ؟

- بلى ..

- ألا تعلم يا "اسكندر" أنه كان من السهل علي أن أكون مديرا لإدارة الأمن العام وأن العب دوري ببراعة من أن أكون "دون لويس بيرينا" حامل الأوسمة الرفيعة والمحارب القديم في الفرقة الأجنبية؟

وراح "مازيرو" يتامل زميله في هدوء .. ثم احتقن وجهه فجاة وضرب المائدة بجمع يده وصاح بصوت جهوري :

- لتكن أنت زعيمي السابق ولكنك لن تستطيع أن تفيد من ذلك الآن ..كلا .. كلا .. إنني الآن في خدمة الأمن العام والمجتمع . ولن أغير خطتي .. لقد تذوقت معنى الشرف .. ولن أحيد قيد أنملة عن السبيل القويم .

فهز "بيرينا" كتفيه وقال :

- إنك أبله يا "اسكندر" .. إنني لم أطلب إليك إعادة الكرة .

- ولكن خططك هذه يا ..

- خططي ؟! اتظن أن لي يدا في هذه الجرائم ؟ إنك مخطئ يا عزيزي.. لقد كنت مثلك أجهل كل ما يتصل بهذه الجرائم قبل ساعتين ، ولكن شاءت العناية الإلهية أن أكون وريثا . وكي لا أغضب ربي فإنني..

فقاطعه "مازيرو" بسخرية :

- ماذا ؟

- اريد أن اثأر لـ"كوزمو" .. ثم ابحث عن ورثته واقسم الثروة بينهم واحميهم من كل عدوان .. اليست هذه مهمة كل رجل شريف .. ؟

- بلى .. ولكن !

- ولكن ماذا ؟ اتعني أنك غير مطمئن إلى وعد الشرف الذي يصدر عني ؟

- إنني يا سيدي ؟

- كفى ! أصغ إلي .. إذا لاحظت اي اعوجاج من جانبي فإني اسمح لك بأن تسلمني للبوليس .

- هذا لا يكفي .

- ماذا تقول ؟

- إذا افترضنا أن غيري وشى بك فكيف يكون موقفي !

- ومن تعتقد سيكون الواشي ؟

- أحد زملائنا القدامى .

- لقد رحلوا جميعا إلى خارج فرنسا .

- إلى اين ؟

- هذا سر من أسراري ؟ لقد حرضتك على أن تبقى في البوليس لعلي أحتاج إلى معونتك في أحد الأيام .

- لكن إذا اتضحت شخصيتك فسيلقى القبض عليك .

- مستحيل .

- لماذا ؟

- إنك تعرف السبب أيها الغبي .. ألا يعتقد الجميع انني في عداد الأموات فكيف إذن يقبضون على رجل ميت ؟

ودهش "مازيرو" ، ولم يتمالك نفسه من الإعجاب بعبقرية رئيسه وقوة حجته . فانفرجت أساريره وبدأ يضحك مقهقها ثم قال :

- آه يا سيدي ! إنك لم تتغير .. حقا إنك في عداد الأموات .. إن كل هذا مضحك .. نعم .. مضحك للغاية .

* * *

كان المهندس "هيبوليت فوفيل" يقيم في قصر منيف بشارع "سوشيه"، بالقرب من إحدى الحدائق الكبرى ، حيث افتتح الرجل مكتبا لأعماله .

وقد قصد "مازيرو" و"بيرينا" إلى مكتب بوليس "باسي" ، حيث قابلا ضابط المكتب . وهناك طلب منه "بيرينا" أن يعهد إلى رجلين من رجاله بمراقبة قصر المهندس طول الليل والقبض على كل من يحوم حوله أو يحاول دخوله .. فوعده الضابط بذلك .

وانصرف "بيرينا" و"مازيرو" إلى أحد المطاعم حيث تناولا طعام الغداء . ومن ثم قصدا إلى قصر "فوفيل" وهناك دق "بيرينا" جرس الباب . وإن هي إلا لحظات حتى فتح أحد الخدم الباب ، فأعطاه "مازيرو" بطاقته .

وبعد بضع دقائق كان "بيرينا" وزميله يجلسان مع "فوفيل" في مكتبته العامرة بالكتب واللوحات الفنية الثمينة .

وأخذا يشرحان للمهندس هدفهما من الزيارة ، ويبينان له مدى قلق رئيس البوليس على حياته مما اضطره إلى إيفاد بعض رجال

البوليس السري لحراسته .. ثم نصحاه بالا يعارضهما في شيء .

واظهر "فوفيل" شيئا من الامتعاض وقال :

- لقد اتخذت من ضروب الحيطة ما يكفي لحمايتي وأخشى أن يلفت وجودكما نظر أعدائي فلا يمكنني حينئذ أن أحصل على الأدلة التي تدينهم .

فقال "بيرينا" هلا أوضحت لنا أكثر من ذلك ؟

- كلا .. ليس في استطاعتي الإيضاح قبل صباح غد ..

فصاح "بيرينا" معترضا :

- اخشى أن يضيع الوقت سدى .. فقد حذرنا المفتش "فيرو" من احتمال موت اثنين الليلة .

فقال "فوفيل" غاضبا : الليلة ؟ كلا .. إني أعلم ما تجهلون .

فقال "بيرينا" :

- وهناك أشياء كان "فيرو" يعلمها وأنت تجهلها ومن الجائز أن "فيرو" سبقك في الكشف عن بعض الأسرار.. والدليل على ذلك أنه كان مراقبا من رجل يحمل عصا مصنوعة من الأبنوس ذات مقبض من الفضة على شكل بجعة والدليل الثاني هو أن "فيرو" قد قتل .

وبدا كان "فوفيل" قد عراه الاضطراب . واستمر "بيرينا" في ضغطه حتى قبل الرجل اقتراحه في النهاية .. وقال :

- وماذا تريد أن تعرف ؟

- من يقيم معك ؟

- زوجتي وتقيم في الطابق الأول .

- الا خطر عليها ؟

- كلا .. بل .. إن الخطر لا يتهدد غير ابني "أدمون" وانا . ولهذا رأيت أن اقيم في هذه الغرفة منذ ثمانية أيام متذرعا بحجة وجود عمل يضطرني إلى قضاء الليل هنا وان هذا العمل يقتضي الاستعانة بابني .

- أينام معك في هذه الغرفة ؟

- لا .. بل ينام في إحدى غرف الطابق العلوي .. وقد أعددتها له خصيصا حتى لا يستطيع أحد أن يصل إليه إلا إذا ارتقى هذا الدرج الداخلي .

- وهل هو موجود الآن بالمنزل ؟

- نعم ، وهو نائم

- وكم عمره ؟

- ستة عشر عاما .

- لقد انتقلت من غرفتك إلى غرفة أخرى خوفا من عدو يتربص بك الفرص ، فمن هذا العدو ؟ أهو أحد جيرانك أم أحد الخدم؟ أم هو غريب عنك ؟

فاتى المهندس بحركة من يده تدل على الضجر ، وأجاب :

- غدا .. غدا .. سأشرح لكما كل شيء غدا .

فقال "بيرينا" بحدة :

- بل يجب أن تفضي إلي بكل شيء الآن .

- ما زالت تنقصني بعض الأدلة ، وإذا تفوهت بشيء الآن فستكون العاقبة وخيمة ، إني خائف ! نعم .. إني خائف !

وإذ لاحظ "بيرينا" فرط اضطراب المهندس ، قال :

- إني قانع بهذا القدر من المعلومات .. فقط أرجو أن تسمح لنا بالمبيت بالقرب منك .

- على رسلك يا سيدي .. إن هذا يتفق ومصلحتي على كل حال.

وأقبل أحد الخدم في تلك اللحظة وقال لمسيو "فوفيل" إن زوجته ترغب في رؤيته قبل أن يغادر القصر .

ودخلت سيدة تناهز الخامسة والثلاثين من العمر جميلة الوجه ذات عينين زرقاوين وشعر ذهبي ، فسألها "فوفيل" :

- هل عولت على الخروج الليلة ؟

- أنسيت أن أسرة "أوفيرار" قد دعتني للذهاب إلى الأوبرا وسأذهب بعدئذ إلى الحفلة التي تقيمها السيدة "ايرزينجر" لقضاء بعض الوقت.

- آه ! لقد تذكرت الآن .. الحق أني أصبحت سريع النسيان .

وارتدت السيدة قفازها ، ثم تابعت كلامها قائلة :

- الا تقابلني عند مدام "أيرزينجر" ؟

- ولماذا ؟

- لأن ذلك سوف يسرهم كثيرا .

- ولكنه لا يسرني فإنني متعب للغاية .

- إذن فساعتذر بالنيابة عنك .

- أرجو أن تفعلي .

وهمت السيدة بالكلام ثم امسكت مترددة ، وما لبثت أن سالت بعد قليل :

- أليس "أدمون" هنا ؟ كنت أظن أنه يعمل معك ؟

- إنه متعب .

- أهو نائم ؟

- نعم .

- أود أن أقبله .

- لا .. أرجو الا تفعلي ذلك خشية أن يستيقظ .. لقد جاءت سيارتك فاذهبي يا عزيزتي وروحي عن نفسك .

وانصرفت الزوجة .. وأدرك "بيرينا" أن هناك جفاء بين الزوجين فالزوج رجل محطم ينشد حياة الهدوء والاستقرار والزوجة شابة في مقتبل العمر تسعى وراء حياة المرح والسرور ودق "فوفيل" الجرس .

ودخل الخادم إلى الغرفة في تلك اللحظة فقال "فوفيل" :

- لقد حان موعد النوم يا "سيلفتر" فاعد الفراش .

ولم يكن فراش المهندس غير أريكة مريحة في غرفة المكتبة ، وقدم الخادم لسيده قليلا من الطعام والماء . فقال له .

- لقد غاب عني أن أقول لك : إن هذين السيدين سيقضيان ليلتهما هنا . فلا تفض بذلك لأحد ، وإياك أن تدخل غرفتي قبل الصباح اللهم إلا إذا استدعيتك .

وكان "بيرينا" يراقب كل صغيرة وكبيرة مما يحدث .. فلم يفته شيء من حركات المهندس وقد جعله ذلك يلم بالكثير من طباعه وأخلاقه .
وطلب "فوفيل" من "بيرينا" ان يرافقه في الصعود إلى الغرفة السرية التي ينام فيها ابنه "ادمون" للاطمئنان عليه وبعد أن اتما هذه الزيارة وعادا إلى غرفة المكتبة تطلع "فوفيل" إلى ساعته وقال :
- الساعة الآن العاشرة والربع وهذا موعد نومي .
واتفق "فوفيل" وزائراه على أن يقضيا ليلتهما في الممر الذي يصل بين المنزل وغرفة المكتبة .
وفجاة ، أطلق "فوفيل" صرخة مخنوقة ، وبدا عليه انحطاط كامل ، وتملكته رعدة قوية .. ورأى "بيرينا" العرق يتصبب من جبين المهندس فسأله بلهفة :
- ماذا بك ؟
- إني .. خائف ! إني .. خائف .
- ولكن هذا سخف فنحن معك ونستطيع أن نحميك
فانتفض "فوفيل" ثانية وقال :
- لن تستطيعا إثناءهم عن عزمهم ولو كنتما عشرين رجلا .. لقد فتكوا بالمفتش "فيرو" من قبل وسوف يقتلونني وابني آه .. يا للأوغاد!
وركع الرجل على ركبتيه . وقرع صدره بيديه ..وهتف :
- الرحمة يا إلهي إني لا أريد أن أموت .. ولا أريد أن يموت ابني .
وانبعث واقفا وجذب "بيرينا" نحو صوان صغير بجواره خزانة حديدية مثبتة في الجدار وأشار إلى الخزانة وقال :
- توجد في هذه الخزانة وثيقة .. دونت فيها تاريخ حياتي يوما فيوما . فإذا حل بي مكروه فلن يكون الثأر لي من الأمور العسيرة.
وأخرج المهندس مفتاحا من جيبه وفتح به الخزانة .. ثم عالج بعض الحروف التي تتحكم في القفل . وجذب باب الخزانة ففتح .
كانت الخزانة فارغة إلا من كراسة مربوطة بشريط أحمر ..
والتقط "فوفيل" الكراسة وقال :

- لقد سجلت كل شيء في هذه الكراسة .. وفيها جميع أسرار الموقف .. ولقد بينت المعلومات التي أرتاب في صحتها وتلك التي أجزم بصدقها .. فلا تنس هذه الكراسة إذا حل بي مكروه .

وأعاد "فوفيل" الكراسة إلى الخزانة . ثم اغلقها وقد بدا عليه قليل من الهدوء والاطمئنان .

واستأذن "فوفيل" من "بيرينا" و"مازيرو" لينام .. ولكن "بيرينا" رأى أولا التأكد من أن جميع نوافذ الغرفة وأبوابها مغلقة بإحكام ، وما لبث أن رأى بابا يؤدي إلى مدخل القصر ولما سأل "فوفيل" عنه قال :

- إني أستخدمه عند استقبال عملائي .. وأخرج منه في بعض الأحايين .. وهو يؤدي إلى الحديقة .

- أهو محكم الإغلاق ؟

- تستطيع أن تستوثق من بذلك بنفسك فهو مغلق بالمفتاح والرتاج.

ووضع "فوفيل" مفتاحي هذا الباب وباب الحديقة فوق المكتب فأسرع "بيرينا" بالتقاطهما وفتح الباب وخرج إلى الحديقة ، فرأى عن بعد وعلى مقربة من سور الحديقة الجنديين اللذين أوفدهما البوليس لحراسة القصر .. وبعد أن تأكد "بيرينا" من أن باب الحديقة محكم الإغلاق قال :

- هيا بنا نرجع إلى القصر ، ونم ملء جفنيك إلى غد ..

* * *

قال "بيرينا" لزميله :

- تستطيع أن تنام فإنني سأبقى مستيقظا .

- حسنا .. سأنام أنا الآن ، وأرجو أن توقظني عندما تحين نوبتي للمراقبة .

ونام "مازيرو" وبقي "دون لويس بيرينا" يقظا وكان يرهف أذنه ويدير بصره حوله ليستوثق بأن كل شيء على ما يرام .

وكان "بيرينا" ينهض بين الحين والحين ويتطلع من باب غرفة المكتبة الزجاجي فيرى "فوفيل" يغط في نومه .

قال لنفسه : إن أحدا لن يتمكن من دخول الغرفة إلا من هذا الباب فإن الجنديين يراقبان الطريق . فليس هناك إذن ما يبعث على القلق ..

وفي الساعة الثانية سمع "بيرينا" قرقعة عجلات بالطريق فنهض واقفا وأطل من خلف زجاج النافذة فرأى السيدة "فوفيل" تهبط من السيارة وتدخل إلى القصر يتبعها "سيلفتر"

وبعد نصف الساعة استتب السكون في القصر .. ونام جميع من فيه إلا "بيرينا" .

وفجأة أحس "دون لويس" بالقلق يستحوذ عليه .. ولم يدر ما الذي جعله ينتفض فجأة فقال لنفسه : يجب أن اذهب لأستوثق من سلامة "فوفيل" .

وعالج الباب حتى فتح . وسدد أشعة مصباحه إلى فراش "فوفيل" فوجده يغط في نومه فتنفس الصعداء .. وعاد أدراجه إلى "مازيرو" فايقظه قائلا :

- لقد حان موعد نوبتك يا "اسكندر"

- هل من جديد يا سيدي الرئيس ؟

- كلا .. كلا .. فالرجل مستغرق في النوم .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- لقد دخلت إلى الغرفة ورأيته نائما .

- يا للعجب فإنني لم أسمع شيئا !

ودخل الرجلان معا إلى غرفة المكتب وقال "بيرينا" هامسا :

- اجلس ، ولكن حذار أن تزعجه .. وأما أنا فسأذهب لأنام قليلا .

ودلف "بيرينا" إلى الغرفة واضطجع فوق أريكة . ولكنه كان مرهف السمع . وبقي على هذه الحال حتى كان الفجر وبدأت الحياة تدب في المدينة ..

واقبل "مازيرو" في تلك اللحظة وقال :

- أظن أنه قد حان الوقت للانصراف .

- فصاح "بيرينا"

- صه !

- لماذا ؟

- يجب أن نوقظ الرجل قبل انصرافنا ..

- ولكنه لم يستيقظ بعد .

فقال "بيرينا" بقلق :

- أعرف ذلك .

وعجب "بيرينا" لأن "فوفيل" لم يستيقظ مع أنهما كانا يتكلمان بصوت مرتفع . فعاوده الاضطراب الذي كان يشعر به عند منتصف الليل ، ولكنه كان عنيفا طاغيا في هذه اللحظة وسأله "مازيرو" في دهشة :

- ماذا بك أيها الرئيس ؟ لقد تبدل حالك تماما ..

- كلا .. لا شيء .. إني خائف .

فارتجف "مازيرو" .. وقال :

- لماذا يا سيدي ؟!

- ألم تدرك بعد سبب خوفي ؟ أخشى أن يكون "فوفيل" قد مات.

وكف "بيرينا" عن الكلام . فساد الغرفة صمت رهيب ، ولم يجرؤ "بيرينا" على الرغم من شجاعته أن يوجه عينيه إلى وجه "فوفيل" ليتأكد من موته .

صاح "مازيرو" :

- أيها الرئيس .. إنه لا يتحرك .

- نعم .. نعم .. إني أذكر الآن أنه لم يتحرك طول الليل .

وتقدم "بيرينا" بخطى متثاقلة نحو "فوفيل" . فلاحظ أن الرجل لا يتنفس فامسك بيده فوجدها باردة كالثلج فصاح :

- افتح النافذة.

وإذ غمر الضوء الغرفة . رأى "بيرينا" وجه "فوفيل" جامدا وعلى جسمه بعض البقع الحمراء .. فصاح :

- لقد مات .

وبغتة وثبت إلى عقله فكرة طارئة . فاندفع يصعد الدرج اللولبي إلى غرفة "ادمون" .

ووجد الابن ميتا كابيه وعلى جسمه نفس البقع الحمراء .

وارتبك "بيرينا" . وارتج عليه .. لقد قتل الرجلان في ليلة واحدة كما تنبأ "فيرو" .. وقتلا باستعمال إبرة مسممة كتلك التي قتل بها "كوزمو مورنينجتون" الأمريكي .

واحس "بيرينا" بخيبة أمل مريرة .. وقال بصوت أجش :

- إنك على حق يا "مازيرو" .. فانا لم اكن كفئا لهذه المشكلة .

- ولا انا يا سيدي .

- أنت ؟! إنك لم تكن تعلم شيئا عنها حتى أمس .

- وانت ايضا يا سيدي كنت تجهل ما يكتنفها من ملابسات .

- هذا صحيح .. فقد دبروا جريمتهم منذ أسابيع .. مهما يكن من أمر .. فقد مات الرجلان في حضوري ، انا "ارسين لوبين" .. ولكنني لم أر شيئا مما حدث .. فهل هذا يعقل ؟

ومزق "لوبين" كم قميص "ادمون" . فرأى دائرة حمراء بها ثقب الإبرة المسمومة فقال :

- ها هي نفس الدائرة الحمراء الموجودة بذراع الأب إن الغلام لم يتعذب كثيرا ..

- يا له من تعس ! لقد كان غلاما جميلا .. كم سيكون حزن الام عظيما ؟

وانفجر "مازيرو" يبكي من فرط تاثره .. فقال "بيرينا" .

- بالتاكيد .. واقسم على ذلك .

- سوف نثار لهما .

- .. بل يجب أن نقسم ألا نلقي السلاح حتى نقدم قتلة "فوفيل" وابنه للعدالة . والآن هيا بنا ... وعليك أولا أن تبلغ مسيو "ديماليون" بما حدث لأن هذه القضية في المرتبة الأولى من الأهمية عنده .

- ولكن ماذا يكون الحال إذا حضر الخدم او السيدة "فوفيل" ؟

- لن يحضر أحد .. وسنغلق الأبواب حتى يحضر رئيس البوليس ليبلغ السيدة "فوفيل" أنها أصبحت أرملة .. وأما ثكلى .

- هناك مسالة مهمة ارجو الا تغفلها .

- وما هي ؟

- الكراسة التي سجل مسيو "فوفيل" مذكراته بها ووضعها في الخزانة .

- إنك على حق .. لقد ترك "فوفيل" مفتاحها على مكتبه .

وهرول "بيرينا" من الغرفة على عجل .. يتبعه "مازيرو" وقال الأخير :

- دعني أتول أنا هذا الأمر .

وأمسك بالمفتاح ، وفتح الخزانة . ولم يلبث أن صاح بفزع :

- يا إلهي !

فهتف "بيرينا" بلهفة :

- أعطني إياه !

- ماذا أعطيك ؟ لقد اختفت الكراسة .

ثم غمغم :

- لقد كانوا يعلمون بوجود الكراسة هنا .

- نعم .. كانوا يعلمون كل شيء ... والآن يجب الا نضيع دقيقة واحدة ، فهيا اتصل بالرئيس تليفونيا .

وصدع "مازيرو" بالأمر .. وما كاد رئيس البوليس يعلم بما حدث حتى قال إنه قادم بغير إبطاء .

وكان "بيرينا" يذرع الغرفة جيئة وذهابا في تلك الأثناء .. وقد ارتسمت على وجهه علامات القلق والتفكير العميق .. ولمح صحفة كان قد لاحظ في الليلة السابقة أن بها أربع تفاحات . فلم يجد بها غير ثلاث ، فقال :

- لا شك في أن المهندس قد أكل التفاحة الرابعة .

وعاد "بيرينا" إلى التفكير . ثم لم يلبث أن قال :

- لقد حدثت الجريمة في الساعة الثانية عشرة والنصف قبل

دخولنا إلى هذه الغرفة .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- لقد أسقط القاتل أو القتلة الساعة الموضوعة فوق المائدة . ثم اعادوها إلى وضعها الأصلي ولكنها كانت قد أصيبت بعطب فتوقف عقرباها على الساعة الثانية عشرة والنصف .

- معنى ذلك أن الرجل وابنه كانا في عداد الأموات عندما دخلنا إلى هذه الغرفة في الساعة الثانية صباحا .

- نعم .

- لكن كيف دخل هؤلاء الأوغاد إلى المنزل ؟

- من الباب المؤدي إلى الحديقة بعد أن تسلقوا سور الحديقة من شارع "سوشيه" .

- إذن فقد كانوا يملكون مفاتيح الباب ؟

- كانت مفاتيح مصطنعة .

- ولكن ماذا دهى الحراس حتى تركوا القتلة يدخلون ؟

- إنهم ما زالوا في أمكنتهم . ولا عجب ، فإنه لم يدر بخلدهم أن في استطاعة أحد اقتحام الحديقة . ولهذا جعلوا اهتمامهم مقصورا على الشارع .

فقال "مازيرو" وقد أدهشته براعة القتلة وقوة تفكيرهم :

- ليس من شك في أن المجرمين من البراعة بمكان !

- نعم إنهم أقوياء وفي رأيي أن المعركة بيننا وبينهم ستكون حامية الوطيس .

ودق جرس التليفون في تلك اللحظة . فأسرع "مازيرو" يرفع السماعة، فتركه "بيرينا" والتقط المفاتيح من فوق المائدة وفتح الباب المؤدي إلى الحديقة . ونزل لعله يعثر على شيء يضيء أمامه السبيل إلى حل هذه الطلاسم والمعميات . رأى الحارسين وهما يذرعان الشارع جيئة وذهابا بغير اهتمام . حتى أنهما لم يرياه فقال لنفسه : إن الخطأ خطئي بغير نزاع .

وتابع بحثه فرأى آثار اقدام على حجر ولكنه ادرك أن هذه الآثار لن تفيده في بحثه .

وتهلل وجهه فجأة . فقد رأى شيئا احمر اللون ملقى على الأرض بين الحشائش فمال عليه والتقطه فوجده تفاحة .. كانت التفاحة الرابعة المفقودة .

وقال يحدث نفسه : حسنا إذن فإن "فوفيل" لم يأكل التفاحة الرابعة .. ولا ريب أن أحد الجناة أخذها معه . فهل كان ذلك على سبيل المزاح أم انه كان يعتزم التهامها ولكنها سقطت منه فجأة في الظلام ؟

وراح يفحص التفاحة .. ثم صاح : يا إلهي !! ايمكن ذلك ؟

ذلك أنه رأى آثار أسنان واضحة فوق التفاحة وغمغم قائلا :

- هل من المعقول أن يقدم أمثال هؤلاء المجرمين على هذه الحماقة ؟! أكبر الظن أن التفاحة سقطت من المجرم الذي أخذها دون أن ينتبه إلى ذلك !

وتامل التفاحة فوجد آثار ست أسنان واضحة من الفك العلوي . أما آثار أسنان الفك الأسفل فكانت غير واضحة .. وناجى "بيرينا" نفسه قائلا :

- إنها أسنان نمر تشبه تلك التي رايتها على قطعة الشوكولاتة التي تركها المفتش "فيرو" فهل معنى ذلك أن الذي قضم الشوكولاتة هو نفسه الذي قضم التفاحة ؟

ولم يدر "بيرينا" أيحتفظ بالتفاحة للاستعانة بها في ابحاثه الخاصة ، أم يسلمها للبوليس .

واحس بالإشمئزاز لملامسة التفاحة ، فالقاها فوق الأرض وهو يتمتم :

- أسنان النمر ! أسنان الوحش الكاسر !

وعاد إلى المنزل وأغلق الباب ثم القى المفاتيح فوق المائدة وسأل "مازيرو" :

- هل سيحضر مدير البوليس ؟

- نعم .

- مالي أراك قلقا يا "مازيرو" ؟! لا شك في أن الرئيس سوف يطالبني بإيضاح كيفية وقوع الجريمة ويحملني مسؤوليتها بعد ان وثق بي وفي رأيي أن تتحمل انت مسؤولية كل ما حدث .. ولكني أحذرك من الاعتراف بانك نمت ولو دقيقة واحدة لأن ذلك سيجر عليك كثيرا من المتاعب .

وتريث "بيرينا" لحظة ، ثم أردف :

- سأنصرف الآن ، فإذا أراد الرئيس مقابلتي فليتصل بي تليفونيا بقصر "باليه بوربون" لأن وجودي هنا أثناء التحقيق لا يفيدنا في شيء .. الوداع يا صديقي !

وانثنى في اتجاه الباب ، ولكن "مازيرو" أسرع وأمسك به قائلا :

- مهلا لحظة يا سيدي .. الأفضل أن تبقى حتى يحضر الرئيس .

- إن رأيك لا يلزمني بشيء .

- هذا صحيح ، ولكنك لن تخرج على كل حال .

- أمريض انت يا "مازيرو" ؟

- نعم .. ولكن ذلك ليس من شانك .. لقد قلت لك إنه من الأفضل أن تبقى فقد يرغب الرئيس في التحدث إليك .

- وبفرض أن الرئيس يريد التحدث إليّ ، فهل أنا مجبر على طاعته؟ تنح عن الطريق يا صديقي ودعني انصرف .

- كلا .. لن تمر .

- إنك تضايقني كثيرا يا "مازيرو" ؟

وانقض "بيرينا" فجاة على ذراع "مازيرو" ، وبحركة سريعة دفعه إلى الخلف ، ثم فتح الباب .

وصرخ "مازيرو" من فرط الألم ، ولكنه بادر فشهر مسدسه وهو يصيح :

- قف وإلا أطلقت النار عليك .

فوقف "دون لويس بيرينا" ، وقد أدهشه رؤية صديقه وهو يشهر

مسدسه في وجهه ، ولم يصدق عينيه ، فقد كان "مازيرو" أكبر أعوانه في مغامراتهما الماضية .

واقترب "بيرينا" من "مازيرو" وقال له :

- هل هذا أمر من رئيس البوليس ؟

- نعم .

- هل أمرك بأن تبقيني هنا حتى يحضر ؟

- نعم .

- لنفرض أنني أردت الخروج من هنا بغض النظر عن هذا الأمر .. فهل تمنعني من ذلك ؟

- نعم .

- بكل الوسائل ؟

- نعم .

- حتى إذا اضطررت إلى إطلاق النار علي ؟

فأجاب "مازيرو" في إصرار :

- نعم .

فتأمله "بيرينا" بإشفاق ، ولكنه لم يتمالك نفسه من الإعجاب بزميله القديم الذي اعتزم التضحية بكل شيء إلا الواجب والشرف . وقال له :

- لست غاضبا عليك يا "مازيرو" ، فقط أرجو أن تشرح لي السبب الذي جعل رئيس البوليس ..

ولم يجب "مازيرو" .. ولكن "بيرينا" لم يلبث أن أدرك كل شيء من نظرات صديقه القديم الحادة ،فصاح :

- لقد فهمت ، ولكن هل تعتقد أنت أيضا أن لي يدا في هذا كله؟

- كلا يا رئيسي القديم . إني لا أعتقد أنك قاتل ، ولكن هناك ظروفا وملابسات .

فاطرق "بيرينا" برأسه مفكرا ، ثم قال :

- إنك على حق .. والواقع أنني لم أفكر في شيء من هذا كله .. لم أفكر في علاقتي السابقة بـ"كوزمو مورنينجتون" ، ومجيئي إلى

"باريس" ليلة قراءة وصيته وإلحاحي في المبيت هنا الليلة .. أقول إن كل هذه الظروف مجتمعة تثير الشك والريبة ضدي ، ولكن ذلك لا يمنعني من التأكيد بأنه لن يمكن القبض على القتلة دون مساعدتي .

– أيها الرئيس .

– صه .. لقد وقفت بالباب مركبتان ، ولا شك في أنهما تحملان مدير البوليس والمحققين .

وقبض "بيرينا" على ذراع "مازيرو" بعنف وهزه قائلا :

– حذار أن تقول إنك نمت ولو دقيقة واحدة .

– أيها الرئيس .. إني ألح عليك في القبض على القتلة .

– لست أملك أدلة كافية للتعرف عليهم .

– يكفي أن تقدم أي شخص للعدالة على أنه المجرم الحقيقي وإلا ألقي القبض عليك ، فتلك هي تعليمات مسيو "ديماليون" .

وارتفع صوت "ديماليون" من الخارج ، بينما ضرب الجنود نطاقا كبيرا حول القصر .

قال "بيرينا" :

– إذا لم أسلم اليوم ، الخميس أول أبريل قتلة "فوفيل" للبوليس فإن مصيري سيكون غامضا .

- ٣ -

حجر الفيروز الباهت

كانت الساعة التاسعة صباحا عندما دخل مدير البوليس إلى مكتب "فوفيل" حيث ارتكبت بطريقة خاصة خفية هذه الجريمة المزدوجة .

ولم يلق "ديماليون" بالتحية إلى "بيرينا" .. بل حسبه المحققون من رجال "مازيرو" لولا أن بادر الرئيس بشرح الدور الذي يقوم به "بيرينا" في هذه المأساة .

وفحص الرئيس الجثتين على عجل ، وبعد أن أصغى إلى ما لدى "مازيرو" من معلومات ، صعد إلى الطابق العلوي لمقابلة مدام "فوفيل" .

وكان "بيرينا" ينتقل من غرفة إلى أخرى في تلك الأثناء حتى دخل إلى المطبخ فوجده أشبه بخلية النحل ، فقد كان الخدم مرتاعين وهم يعقبون على الحادث كل بحسب هواه .

وأراد "بيرينا" الخروج إلى الحديقة ، فاعترض جنديان طريقه وقالا له :

- إن الخروج ممنوع .

- ومن أمركما بذلك ؟

- رئيس البوليس .

- مهما يكن .. فإني أشعر بجوع شديد بعد أن قضيت الليل كله ساهرا .

فتبادل الشرطيان النظر .. وأمر أحدهما الخدم فأحضروا له بعض الطعام .

وقال "بيرينا" لنفسه : لقد أصبحت سجينا .. ولكن تبا لهم ... إن كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون بمثل هذا الحصار أن يفوزوا بـ"أرسين لوبين" فإنهم واهمون .. أما إذا أرادواالقبض على "بيرينا" فليست هناك ضرورة لمثل هذا الحصار لأن هرب "دون لويس بيرينا" معناه

التخلي عن ثروة "كوزمو" .. ومن ثم فيحسن أن أبقى هنا وأنا مطمئن .

وجلس في الممر في انتظار ما سيحدث .

وفي تلك الأثناء كان المحققون والأطباء يوالون البحث لعلهم يوفقون إلى معرفة الطريقة التي استطاع المجرمون بها أن يقتلوا "فوفيل" بالسم .

وهبط رئيس البوليس من الطابق العلوي في تلك الأثناء وسمعه "بيرينا" وهو يقول للمحققين .

- مسكينة هذه السيدة . لقد سقطت مغشيا عليها عندما سمعت النبأ الأليم .. نبأ فقد زوجها وابنها في يوم واحد .

وعند الظهر قدم الخدم الطعام لـ"بيرينا" .. فتناول "دون لويس" طعامه ثم جلس ينتظر ما سيسفر عنه ذلك التحقيق الطويل .

ولما وافت الساعة الرابعة جاء "مازيرو" إلى "بيرينا" واستصحبه معه إلى حيث كان مدير البوليس في انتظاره .

وفي الطريق سأله "مازيرو" :

- هل عرفت القاتل .. ؟

- هذا أمر على أعظم جانب من السهولة .

ولم يفطن "مازيرو" إلى أن صديقه يمزح ... ومن ثم فقد قال :

- هذا حسن وإلا فسيكون الموت مصيرك المحتوم .

ودخل "بيرينا" إلى الغرفة التي جلس فيها النائب العام وقاضي التحقيق ورئيس البوليس ... وما إن رآهم حتى قال لنفسه : لقد أصاب "مازيرو" .. لقد اجتمعت هذه الهيئة لمحاكمتي .

ولم يتمالك نفسه من الابتسام .. وافتتح مدير البوليس الحديث قائلا :

- إنك الوريث الوحيد لـ"كوزمو" يا عزيزي "بيرينا" . ولما كنت قد قضيت الليل كله هنا فإن لشهادتك أهميتها الكبرى بالنسبة لنا .

فاسرع "بيرينا" يقول :

- لعلك تعني يا سيدي أن الظروف شاءت أن أقضي الليل هنا ،

ولهذا فأنت تريد سماع شهادتي لتستوثق من مطابقتها لشهادة "مازيرو" .

- هذا صحيح .

- معنى ذلك أن الشبهات تحوم حول موقفي .

ودهش مدير البوليس لصراحة "بيرينا" .. وقال بحدة :

- ليس من حقك أن توجه إلي أسئلة .

فأحنى "بيرينا" رأسه ، وأجاب :

- سمعا وطاعة يا سيدي .

- إذن أفض إلينا بكل ما لديك من معلومات عن هذه القضية .

فسرد له "دون لويس" كل ما حدث أثناء الليل بدقة تامة .

فقال مدير البوليس :

- هناك نقطة واحدة تحتاج إلى شيء من الإيضاح . ألم تلاحظ حينما دخلت إلى هذه الغرفة في الساعة الثانية صباحا أن "فوفيل" قد مات ؟

- كلا .. وإلا لأبلغناكم النبا بغير إبطاء .

- أكان باب الحديقة مغلقا ؟

- نعم ، وقد استوثقنا بذلك عندما فتحناه في الساعة السابعة صباحا .

- إذن كيف تمكن القتلة من فتحه من الخارج ؟

- بمفاتيح مصطنعة .

- أتستطيع أن تبرهن لنا على ذلك ؟

- كلا .

- معنى هذا أننا نستطيع أن نقول : إن المجرم كان بالداخل ولم يأت من الخارج ؟

- لم يكن بالداخل غير "مازيرو" وأنا .

- ألم تنم أثناء الليل ؟.

- بلى .. لقد غفوت عند الفجر .

- و"مازيرو" ؟

فبدا الارتباك على وجه "بيرينا" لأنه لم يكن يعلم إن كان "مازيرو" قد عمل بنصيحته أم تجاهلها .

ثم أجاب :

- لقد نام "مازيرو" إلى أن عادت السيدة "فوفيل" من الخارج .

فساد الصمت مرة اخرى .. وادرك "بيرينا" أن فكرة واحدة كانت تدور بخلد الحاضرين ، وتلك أن "بيرينا" انتهز فرصة نوم "مازيرو" وفتح الباب وقتل "فوفيل" وابنه .

قال "بيرينا" لنفسه : ما أشق أن يدافع بريء عن نفسه !

وتهامس الرئيس وقاضي التحقيق .. ثم التفت الأول إلى "بيرينا" قائلا :

- ماذا كان بداخل الخزانة عندما فتحها "فوفيل" ليلة أمس ؟

- كان بها بعض الأوراق وكراسة غلافها رمادي اللون وقد فقدت.

- ألم تضع يدك في هذه الخزانة ؟

- كلاً .. بل لقد حرص "مازيرو" على إبعادي عن الخزانة عندما فتحناها هذا الصباح .

فنظر "ديماليون" إلى قاضي التحقيق كما لو كان قد دبر شركا لـ"بيرينا" ، واستطرد قائلا :

- لقد ذاع صيتك كباحث بوليسي . ولهذا فساتوجه إليك بسؤال واحد .

- سل ما شئت يا سيدي وساجيبك بكل الصراحة .

- إذا فرض أنك عثرت في الخزانة على شيء كحجر من الأحجار الكريمة التي تثبت في الخواتم مثلا وقد سقط هذا الحجر عفوا من شخص تعرفه.وتعرف انه قضى طول الليل بالمنزل .

وادرك "بيرينا" أنه يواجه موقفا عصيبا . كما أيقن أنهم عثروا في الخزانة على شيء حسبوا أنه ملكه ، ولكنه كان واثقا بانه لم يقترب من الخزانة ، ومن ثم فقد استنتج أن أحدا قد سرق منه هذا الشيء

ووضعه في الخزانة ليقيم الدليل على إدانته .

واخذ يتساءل متى تم ذلك ؟!

ولكنه لم يستطع الوصول إلى إجابة شافية .

وعاد المدير إلى سؤاله :

- وما رأيك في هذا يا "بيرينا" ؟

- رأيي أنه من المحقق أن هناك صلة ما بين الخزانة وصاحب هذا الحجر .

- إذن فنحن على حق حين نرتاب في هذا الرجل ؟

- نعم .

- أهذا هو رأيك ؟

- بكل تأكيد .

فأخرج الرئيس من جيبه ورقة مطوية نثرها وأخذ منها حجرا أزرق اللون وقال :

- لقد عثرنا على حجر الفيروز هذا في الخزانة .. وليس هناك أقل شك في أنه كان مثبتا في الخاتم الذي تحلى به إصبعك .

فغلت مراجل الغضب في صدر "دون لويس" ، وهمس .

- يا للأوغاد ! إنهم أقوياء .. ولكن كيف تم لهم ذلك ؟!!

وتأمل الخاتم الذي يزين به إصبعه . فلم يجد به حجر الفيروز الباهت .

قال الرئيس :

- ما رأيك في ذلك ؟

- لقد كان حجر الفيروز هذا مثبتا في خاتمي هذا الذي أهداه إلي "كوزمو" يوم أن انقذته من الموت .

وراح "بيرينا" يذرع الغرفة جيئة وذهابا

- وقد استبد به القلق والتفكير ، ولم يلبث أن تطلع إلى "مازيرو" وابتسم .

فسأله الرئيس : ما الذي يثير ضحكك ؟

فجلس "بيرينا" فوق احد المقاعد ، واجاب بصوت هادئ : دعنا نتفاهم .

- وفيم نتفاهم ؟

- لقد سمحت لي امس بقضاء الليل هنا ، ولا شك في انك مسؤول إلى حد ما عما حدث . ولهذا فانت تريد ان تقدم للعدالة شخصا باعتبار انه المجرم .. ولما كنت انا الوريث الوحيد لـ"كوزمو" . فإن موت "فوفيل" وابنه سيجعلني ارث مائتي مليون دولار وعلى ذلك فانت تعتقد انني القاتل ، اللهم إلا إذا استطعت انا ان اقدم لك القاتل الحقيقي .

فابتسم "ديماليون" ، واخرج ساعته ووضعها امامه وقال :

- امامك متسع من الوقت ، فتحدث .

فامر "بيرينا" "مازيرو" ان يستدعي الخادم "سيلفتر" ، فاستاذن "مازيرو" من رئيسه وخرج ، بينما تابع "دون لويس" دفاعه عن نفسه .. قال :

- إذا كان حجر الفيروز هذا يهمك باعتباره الدليل على إدانتي فإنه يهمني انا ايضا لبراءتي .. لقد سقط مني امس ، ولم يكن في استطاعة احد ان يلتقطه غير اربعة اشخاص .. اولهم "مازيرو" ، وهو رجل لا غبار عليه .. وثانيهم مسيو "فوفيل" نفسه ولكنه مات . وثالثهم "سيلفتر" ، وساتحدث إليه حديثا قصيرا .

واقبل الخادم في تلك اللحظة ، واستطاع ان يدلل على انه لم يغادر المطبخ قبل عودة السيدة "فوفيل" من الخارج .

فساله "بيرينا" :

- لقد طالعت في الصحف نبا موت المفتش "فيرو" .. فهل تعرفه ؟

- كلا .

- هذا امر عجيب ، فقد جاء المفتش "فيرو" إلى هنا اكثر من مرة .. حسنا .. في هذا الكفاية .. ارجو ان تبلغ السيدة "فوفيل" ان مدير البوليس يريد ان يتحدث إليها قليلا .

فخرج "سيلفتر" .. وعندئذ صاح "ديماليون" .

- أتعني بذلك أن للسيدة "فوفيل" يدا في هذا كله ؟

- لا نزاع في أن المسيدة رات حجر الفيروز ، فهي الشخص الرابع الذي دخل هذه الغرفة .

- وهل من العقل في شيء أن تقتل امرأة زوجها وابنها لترثهما؟ فلم يجب "بيرينا" .. كما لم يستطع "ديماليون" أن يكبت غضبه .. فصاح :

- إني أمرك أن تلزم جانب الصمت التام ، ودع لي مهمة سؤالها عما تريد .

- حسنا يا سيدي .. أرجو أن تسالها إن كانت تعرف أحدا غير زوجها من اسرة "روسل" .

- ولماذا هذا السؤال ؟

- لأنه إذا تبين أن هناك شخصا أو أشخاصا من الأسرة على قيد الحياة فإن ذلك سوف يحرمني من الإرث ، ومن ثم فموت "فوفيل" وابنه يكون من مصلحة هؤلاء الورثة وليس من مصلحتي .

- هذا معقول .

وأقبلت مدام "فوفيل" وقد احمرت عيناها من فرط البكاء وبدت عليها علامات الحزن الشديد .

وقال لها "ديماليون" :

لا تستسلمي للجزع يا سيدتي .. وإني أعدك باننا سننتقم من قتلة زوجك وابنك ، وارجو في مقابل ذلك الا تبخلي على العدالة بالمساعدة .

فانحدرت الدموع من عيني المرأة . وأجابت :

- إني رهن إشارتك يا سيدي .

- إذن أخبريني هل ماتت أم زوجك ؟

- نعم .

- وهل كانت من أسرة "روسل" ؟

- نعم .

- أكانت تدعى "إليرابيث روسل" ؟

- نعم .
- الم يكن لزوجك اخ أو اخت ؟
- كلا.
- إذن فلم يبق على قيد الحياة أحد من أسرة "روسل" ؟
- لا أحد
- حسنا .. ولكن كانت لـ"إليرابيث" اختان ؟
- نعم .
- لقد رحلت "ارميلين روسل" ولم يسمع احد شيئا عنها منذ رحيلها.. فماذا كان اسم أختها ؟
- كان اسمها "ارمندا روسل" وهي أمي .
- كيف ذلك ؟ وما هذا الذي تقولين ؟
- اقول إن "أرمندا" هي أمي .. وقد تزوجت أنا ابن خالتي وهو ابن "اليزابيث" .
كان قولها هذا مفاجاة شديدة الوقع على الحاضرين . إذ بموت "فوفيل" وابنه تصبح هي وارثة الملايين الضخمة .
وتطلع الرئيس إلى قاضي التحقيق .. وتبادل الاثنان النظر مع "بيرينا" .. وبعدئذ استانف "ديماليون" سؤال السيدة قائلا :
- ألك إخوة ؟
- كلا يا سيدي . فإني وحيدة .
وزاد هذا الاعتراف الجديد من ريبة الحاضرين واقتنعوا بإدانة المراة وقدم "بيرينا" رقعة من الورق إلى الرئيس . فقراها ثم سأل المراة:
- وكم كان عمر ابنك "أدمون" ؟
- سبعة عشر عاما .
- ولكنك تبدين صغيرة السن يا سيدتي .
- لم يكن "ادمون" ابني .. بل كان ابن زوجي .
- آه .. إذن فإن "ادمون فوفيل" .
ولم يكمل "ديماليون" عبارته .. وساد الصمت . فقد تغير الموقف في

دقيقة واحدة تغيرا شاملا غير متوقع .. فلم تعد مدام "فوفيل" الأرملة الحزينة والأم الثكلى التي تستحق العطف والرثاء . بل اصبحت المتهمة الأولى في هذه الجريمة المنكرة .

وعاد "ديماليون" يسالها :

- هل رأيت حجر الفيروز هذا من قبل ؟

فامسكت بالحجر وتاملته قليلا . ثم أجابت :

- كلا .. إن لدي عقدا به أحجار فيروز أكبر من هذه ولكني لا استعمله إلا نادرا .

- لقد عثرنا على هذا الحجر في خزانة زوجك وهو جزء من خاتم يملكه شخص ليس غريبا .

- يجب إذن القبض على هذا الشخص .

فاشار مدير البوليس إلى "دون لويس" وقال :

- هذا السيد هو صاحب الحجر .

فصاحت المرأة :

- كان هذا السيد هنا أمس وكان معه هذا الرجل (واشارت إلى "مازيرو") . وكانا يتحدثان مع زوجي .. يجب أن تسالهما عن سبب وجودهما مع زوجي .

- أرجو أن تريني العقد الذي حدثتني عنه .

- حسنا . إنه في صندوق الحلي . وساذهب لإحضاره .

- كلا .. لا تكلفي نفسك هذا العناء . فارسلي وصيفتك مع "مازيرو" لإحضاره .

ومضت دقيقتان لم يحاول أحد خلالهما الكلام .

وعاد "مازيرو" بصندوق الحلي ، ففتحه "ديماليون" ، واخرج منه العقد ، وتامله جيدا فلاحظ أن أحجاره أكبر حجما من حجر الفيروز ، كما لاحظ أن جميع أحجاره موجودة ، وحانت منه التفاتة فرأى مفتاحين يشبهان مفتاحي باب الحديقة وباب غرفة المكتب ، فصاح :

- ما هذان المفتاحان ؟

وصمتت مدام "فوفيل" ولم يبد عليها اي أثر للارتباك .. كانما لم يهمها هذا الاكتشاف الخطير .

وأخيرا اجابت بهدوء :

- لا أعلم . إنهما موجودان في هذا الصندوق منذ وقت طويل

فامر "ديماليون" "مازيرو" بتجربة المفتاحين... ففتح أحدهما الباب المؤدي إلى الحديقة والآخر باب غرفة المكتبة .

وفجاة قالت المراة :

- آه ! لقد تذكرت الآن .. لقد أعطاني زوجي هذين المفتاحين فاحتفظت بهما في هذا الصندوق .

نطقت مدام "فوفيل" بهذه الكلمات في هدوء عجيب .. كما لو كانت تجهل مدى المسؤولية الجنائية التي ستترتب على هذا التصريح الخطير .

واخذ الحاضرون يتساءلون : هل يحجب هذا الهدوء ذكاء خارقا ودهاء بالغا .. أم هو بالفعل هدوء وسذاجة ؟ وهذان المفتاحان ؟! إنهما خليقان بأن يجرا على المراة المتاعب الجمة .

وسألها رئيس البوليس :

- لقد كنت غائبة من المنزل أثناء وقوع الجريمة .. أليس كذلك ؟

- بلى .

- أكنت في دار الأوبرا ؟

- نعم . ثم ذهبت إلى حفلة أقامتها مدام "إيرزينجر" ..

- وهل كان السائق معك ؟

- كان معي عندما ذهبت إلى الأوبرا ... ثم أمرته بالانصراف ... وعاد إليّ في الحفلة المسائية .

- وكيف ذهبت من الأوبرا إلى منزل مدام "إيرزينجر" ؟

ولأول مرة فطنت مدام "فوفيل" إلى أنها تواجه استجواباً محكما .. فخانتها رزانتها وبدا عليها الارتباك .

وأجابت :

- ركبت سيارة أجرة .
- من أي شارع ؟
- من ميدان الأوبرا .
- هل كان ذلك في منتصف الليل ؟
- كلا .. فقد غادرت دار الأوبرا قبل انتهاء التمثيل ، وكان ذلك حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف .
- يبدو انك كنت تتوقين لرؤية صديقتك ؟
- لا أدري .
- وهل ذهبت إلى منزل صديقتك بعد انصرافك من دار الأوبرا مباشرة ؟
- تقريبا .
- ما معنى كلمة (تقريبا) ؟
- لقد شعرت بصداع فأمرت السائق بان يبطئ في سيره في "الشانزليزيه" .
وبدا عليها الارتباك بوضوح وتلعثمت في الكلام ... ثم مال رأسها فوق صدرها وسكتت .
ولم يكن صمتها هذا يعني الاعتراف بالجرم ... وكان يمكن أن يترجم على انه نتيجة للألم المفرط ، ولكن المراة تخاذلت كما لو كانت تريد أن تعترف وتضع حدا لهذه الأسئلة الدقيقة .
واستولى الارتباك على مدير البوليس أيضا ، ولم يدر ماذا يفعل .. وأخيرا تطلع إلى بيرينا" الذي قدم له ورقة أخرى ، فقرأها وقال .
- هل هذا رقم تليفون مدام "ايرزينجر" ؟
فقال "بيرينا" : .
- نعم إنه هو .
وطلب "ديماليون" الرقم .. ثم قال للمتحدث : أعطني رقم ٢٥٠٤.
وصمت قليلا . ثم استانف الحديث التليفوني .
قال :

- من المتحدث ؟ كبير الخدم ؟! هل مدام "ايرزينجر" موجودة؟ كلا . ولا زوجها أيضا . ؟ حسنا .. انا "ديماليون" رئيس البوليس . اخبرني.. متى حضرت مدام "فوفيل" لديكم ليلة أمس ؟! أواثق انت بذلك ؟ في الساعة الثانية صباحا ؟! الم تحضر قبل ذلك ؟ .. ثم خرجت .. في غضون عشر دقائق ؟ حسنا .. إذن فانت واثق بموعد وصولها لديكم ؟ حذار فالأمر مهم وخطير ! حسنا.!

وعندما فرغ من الحديث التليفوني لاحظ أن مدام "فوفيل" تتطلع إليه بانتباه شديد فاعتقد كما اعتقد الأخرون أن هذه المراة إما أن تكون في منتهى البساطة والسذاجة وإما أن تكون على أعظم جانب من الذكاء والدهاء .

وقالت مستنكرة :

- ما معنى هذا كله ؟! أرجو أن توضح لي .

فقاطعها "ديماليون" قائلا :

- أين كنت ، وماذا كنت تفعلين في الفترة ما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والساعة الثانية صباحا ؟

كان السؤال شديد الإحراج .. ولم يخف ذلك على مدام "فوفيل" فقالت:

- هذا مخيف ! هذا مخيف !!

- ماذا كنت تفعلين في هذه الفترة .. إن كلمة منك كافية لتغيير الموقف وإظهار الحقيقة .

وتحركت شفتاها . فظن الحاضرون أنها ستنطق بكلمة الفصل . ولكنها ارتبكت وتمتمت بكلمات غير مفهومة ولا مسموعة . ثم تهالكت فوق أحد المقاعد ، وأطلقت صيحة تنطوي على الياس . فكانت بمثابة اعتراف وإن لم يكن اعترافا صريحا .

وأدار لها رئيس البوليس ظهره ، وأخذ يتحدث إلى قاضي التحقيق والنائب العام بصوت خفيض .

وكان "مازيرو" و"بيرينا" يقفان في ركن منعزل من أركان الغرفة .. وقال أولهما للثاني :

- هذا ما كنت واثقا به .. إنك ستكشف القناع عن القاتل .. حقا .. يا لك من رجل ! اظن أن الرئيس سيلقي القبض على هذه المرأة الجهنمية؟

فأجاب "بيرينا" :

- كلا .. فليست هناك أدلة قاطعة تبيح إلقاء القبض عليها .

- ولكننا لن نتركها على الأقل .

واستغرق "بيرينا" في التفكير .. وراح يتأمل الملابسات التي أدت إلى الشك في أمر مدام "فوفيل" ... كما فكر في أدلة أخرى أكثر خطورة من هذه الاعترافات .

كان يفكر في آثار الأسنان التي رآها فوق التفاحة .. إنها تساوي الشيء الكثير من وجهة نظر العدالة . وبخاصة إذا ما طابقت الآثار التي كانت موجودة فوق قطعة الشوكولاتة .

واقترب مدير البوليس من "بيرينا" في هذه اللحظة ، وتظاهر بأنه يتحدث إلى "مازيرو" وقال لـ"بيرينا" :

- ما رأيك في كل هذا ؟

فأجاب "بيرينا" :

- إذا كانت هذه المرأة مجرمة فإنها ستدافع عن نفسها بلا حذق أو مهارة .. وفي هذه الحالة لابد أن يكون لها شريك .

- شريك ؟

- انسيت يا سيدي العبارة التي فاه بها زوجها في مكتبك حين قال يا للأوغاد ! يا للأوغاد .. فلابد أن يكون هنالك على الأقل شريك واحد وهو في الغالب الرجل الذي كان بجوار المفتش "فيرو" في حانة "الكوبري الجديد" .. وقد علمنا هذا عندما ذهبنا - أنا و"مازيرو" - إلى تلك الحانة .

فقاطعه "ديماليون" قائلا بحدة :

- إذن فلو قبضنا على مدام "فوفيل" فسنصل إلى الشريك

فلم يجب "بيرينا" .. وتابع الرئيس كلامه قائلا :

- ولكن كيف نقبض عليها دون سبب قوي ؟

- نعم ؟!

- هل فتشت الغرفة والحديقة جيدا ؟

- نعم ..

فأمر الرئيس "مازيرو" بأن يفتش الحديقة مرة أخرى فخرج من الغرفة .

وفي هذه اللحظة سمع "بيرينا" الرئيس وهو يهمس إلى قاضي التحقيق قائلا :

- آه لو كنا نملك دليلا واحدا ! إني أعتقد أن المرأة مذنبة ولا شك فقد أغرتها الملايين بارتكاب الجريمة ولكن إذا نظرت إليها فإنك ترى الطهارة والشرف يشعان من نظراتها .

كانت المرأة تبكي بحرارة وقد أمسكت بمنديلها وأخذت تضغط عليه بأسنانها وتقطعه كما يفعل الممثلون .. وكان "بيرينا" معجبا بأسنانها وكان يحلم بالآثار التي على التفاحة واكتسحته الرغبة في الوقوف على الحقيقة وأخذ يتساءل : هل آثار أسنان المرأة تطابق الآثار التي على التفاحة ؟

وعاد "مازيرو" في تلك اللحظة واتجه إلى "ديماليون" الذي نظر إليه باهتمام وبعد قليل اتجه إلى مدام "فوفيل" وقال لها :

- هلا أجبت عن سؤالي السابق ؟

فأجابت :

- نعم .. لقد كنت أتنزه .

- سنعلم حقيقة ذلك عندما نعثر على السائق .. ولكن الفرصة ما زالت مواتية لتبرئي نفسك .

- إنني على أتم استعداد .

- لقد قضم الشخص أو أحد الأشخاص الذين اشتركوا في الجريمة هذه التفاحة وترك بها آثار أسنانه ويهمنا أن تقضمي هذه التفاحة أنت أيضا يا سيدتي لنتحقق من تطابق الآثار أو عدمه .

- نعم .. بكل تأكيد .

وامسكت بالتفاحة التي قدمها لها "ديماليون" وهمت بان تقضمها ولكنها اضطربت فجاة كما لو كانت قد فطنت إلى أنها حيال شرك منصوب لها .

فسالها الرئيس :

- ماذا تخشين يا سيدتي ؟

فاجابت وهي تنتفض :

- لا شيء ! لا شيء .. لست أدري إني اشعر بالحيرة والارتباك.

ثم رفعت يدها إلى فمها كما لو كانت ترفع حملا ثقيلا وقالت :

- ماذا إذا رفضت ؟

- هذا من حقك .. ولكن لماذا ترفضين ؟

فتقلص وجهها كما لو كانت أمام خطر داهم وفتحت فمها وغرست اسنانها في التفاحة .

واخذ "ديماليون" التفاحة وراح يقارن بين التفاحتين وقد دار به كل من كان موجودا فلاحظوا أن استدارة الأسنان واحدة ونظام توزيعها واحد وبالجملة كانت الآثار متشابهة كل التشابه .

ولم يتكلم احد وظلت مدام "فوفيل" تنظر إليهم بحذر شديد .

- يا سيدتي ... ؟!

- كلا . ! كلا . ليس هذا صحيحا ! إنكم لن تقبضوا علي ! ماذا فعلت ؟

اقسم .. انني بريئة !

ثم امسكت براسها وقالت :

- إن راسي يكاد ينفجر .. ما معنى كل هذا .. ؟ إني لم اقتل احدا .. إنك انت الذي اخبرتني بموته هذا الصباح . ولكن لماذا اقتل زوجي العزيز و"ادمون" الصغير الذي يحبني واحبه .. إنكم جلادون قساة .. إنكم تعذبون امراة لا حول لها ولا قوة .. وانت بصفة خاصة (مشيرة إلى "بيرينا") انت عدوي .. لقد كنت هنا في الليلة الماضية .

وانفجرت تبكي بحرقة . فاقترب "بيرينا" منها وقال :

- إن آثار الأسنان واحدة .. فلا شك أنك قضمت التفاحة الأولى.

- كلا .

- هذا أمر لا مجال للطعن فيه .. ولن تستطيعي إنكاره فلابد أن تكوني قد أكلت من هذه التفاحة قبل الليلة الماضية ؟

- أتعتقد ذلك ؟؟ نعم !! ربما كان ذلك صباح الأمس . آه .. لقد تذكرت..

فقال "ديماليون" مقاطعا :

- إن الخادم يؤكد أنه جاء بهذا التفاح في المساء وليس في الصباح وعندما نام مسيو "فوفيل" ترك أربع تفاحات ولكننا لم نجد سوى ثلاث وأما الرابعة فوجدناها في الحديقة وعليها هذه الآثار التي تدل على أنك أكلت منها .

فاجابت :

- لست أنا .. ليست هذه آثار أسناني .. أقسم ..

ثم نهضت واقفة ولكنها لم تثبت وسقطت غائبة عن الصواب ..

وبينما كانوا يسعفونها قال "مازيرو" لـ"بيرينا" :

- أترى هذا الشخص الذي دخل الحجرة الآن ؟؟ أعرفته يستحسن أن تغادر الحجرة على الفور ..

ورأى "لوبين" رجلا بدين الجسم أحمر الوجه يدخل إلى الحجرة فصاح :

- إنه "ويبر" مساعد "ديماليون" .

- لقد عرفك يا "بيرينا" من أول نظرة .. عرف أنك "أرسين لوبين" .. إن ذاكرته لا تخونه أبدا .. ولا ينسى حوادثك الماضية معه ..

- وكيف أهرب ؟ لابد أنه أنذر رئيس البوليس بوجودي . إنني معروف في منزلي باسم "دون لويس بيرينا" فاين تريد أن اقيم ؟

- لم يبق سوى أن تعود إلى عهدك السابق .. عهد "أرسين لوبين" . الخفي القاهر وابدا حربك في الخفاء .

- معنى هذا أن أفقد حقي في ذلك الإرث المشؤوم .. فاختفاء "لويس

بيرينا" معناه ضياع مائتي مليون ..

- ولكنهم سيراقبونك بدقة .. ويحاصرون منزلك .

- إني أفضل ذلك .

- وسيكون لـ"ويبر" شأن معك .

- إن "ويبر" لا يهمني في شيء .. وأرجو أن أسعد بزيارتك يا "اسكندر" .

* * *

وفي صباح اليوم التالي قرر الطبيب الشرعي أن آثار الأسنان الموجودة على التفاحتين وكذا التي على قطعة الشوكولاتة واحدة .

ثم تقدم للشهادة بعد ذلك أحد سائقي سيارات الأجرة وقرر أن سيدة ركبت سيارته وطلبت منه أن يوصلها إلى آخر شارع "هنري مارتان" حيث ترجلت من السيارة ..

وشارع "مارتان" يبعد عن محطة "أويتيل" بحوالي خمس دقائق فقط .

ولما عرضت مدام "فوفيل" على السائق عرفها في الحال وأكد أنها هي التي ركبت معه .

وأصبح السؤال الذي يدور على ألسنة الجميع : ترى ماذا فعلت مدام "فوفيل" في هذا الشارع في الفترة ما بين الحادية عشرة والنصف وبين الساعة الثانية صباحا ؟

ولما لم يستطع البوليس الاهتداء إلى إجابة شافية عن هذا السؤال أصدر "ديماليون" أمره بالقبض على مدام "فوفيل" وإرسالها إلى سجن "سان لازار" .

- ٤ -

الستار الحديدي

أصبحت هذه الجريمة المروعة موضوع حديث جميع الأوساط في فرنسا من أقصاها إلى أقصاها .. وكتبت عنها الصحف . ونشرت الوصية المشؤومة . ونددت بعجز البوليس عن القبض على الشخص الذي قتل "كوزمو" و"فوفيل" وابنه مستخدما في ذلك وسيلة واحدة تدل على الجرأة والاستهتار .

ولكنه ترك - على الرغم من مهارته - آثارا قد تفضي في أحد الأيام إلى الكشف عن شخصيته الغامضة . وتلك الآثار هي أسنان النمر .

وفي وسط هذه العاصفة الصاخبة .. ظهرت شخصية "أرسين لوبين" من جديد .. فقد استنتج الجمهور أن له ضلعا في الحادث .. وأخذوا يقولون بلهجة قاطعة إن "دون لويس بيرينا" هو "أرسين لوبين" .. وأنه إذا كان قد أشيع أنه مات فإن هذه الشائعة من صنعه وأنه أطلقها لأمر في نفسه . كما أن البوليس يعرف ذلك ولكنه اعترف بموته ليتخلص من هذا العدو الرهيب .

وفي صباح أحد الأيام - أي بعد مضي خمسة عشر يوما على وقوع هذه الجريمة المزدوجة - ذهب "بيرينا" ليتفقد القصر الذي ابتاعه من الكونت "مانولسكو" الروماني . وهو قصر مشيد في شارع "باليه بوربون" وبه كل وسائل الراحة والرفاهية . وكان "بيرينا" قد أبقى كل شيء في القصر على حاله ، حتى سكرتيرة الكونت الآنسة "فلورنس ليفاسيه" بقيت تؤدي عملها وتعنى بشؤون القصر .

وبعد أن تفقد "بيرينا" كل شيء عاد إلى غرفة مكتبه ، وأطل على الطريق من وراء زجاج النافذة ولم يلبث أن صاح قائلا : يا إلهي ! أما زال البوليس يراقبني ؟ لقد انقضى خمسة عشر يوما وأنا موضوع تحت المراقبة .. لقد أصبح الموقف لا يحتمل !

وارتد عن النافذة وبدأ يطالع بريده الخاص . فلما انتهى منه دق الجرس فاقبلت السكرتيرة .. وكان المتبع ان تقرأ له السكرتيرة آخر الأنباء كل صباح .. وبخاصة ما كان يتعلق منها بمدام "فوفيل" . وقد لاحظ "بيرينا" أن السكرتيرة كانت تحرص على أن تبدو أمامه غاية في الأناقة .. فلم يتمالك نفسه من الإعجاب بها .. وخاصة بصوتها العذب الذي كان يشبه انغام الموسيقى الشجية .

وحينما كانت تقرأ الأنباء قاطعها بقوله :

- من الغريب أن تدافع مدام "فوفيل" عن نفسها بهذه الطريقة المريبة.! أخبريني يا أنسة .. هل تعتقدين أنها بريئة ؟

- لا أدري ، فإني لا أعلم شيئا عنها .

- لولا آثار الأسنان التي وجدت على التفاحة وعجز مدام "فوفيل" عن شرح سر التشابه بين اسنانها وبين الآثار التي وجدت على التفاحة لما كان هناك ادنى شك في براءتها .

والواقع أن مدام "فوفيل" عجزت عن تعليل هذه الآثار .. وبقيت في السجن غارقة في حزنها .. بينما جد البوليس في البحث عن شريكها وهو الرجل الذي رآه الخادم يجلس بجوار المفتش "فيرو" في الحانة . وأفضى بأمره إلى "مازيرو" ووصفه بانه رجل ذو لحية يحمل عصا بطرفها العلوي راس بجعة .. كما جد في البحث عن "فيكتور" ابن عم إخوة "روسل" لأنه أحد الورثة المهمين .

واستانفت السكرتيرة القراءة . ولكن "بيرينا" أراد أن يستوقفها .. فقالت معترضة :

- كلا .. ففي هذه الصحيفة مقال مهم .

- وهل يهمني هذا المقال ؟

- اعتقد ذلك .. فإن عنوانه "لماذا لا تلقون القبض عليه ؟" .

فامسك "بيرينا" بالصحيفة . وقرأ المقال . وكان عبارة عن نقد مر موجه إلى البوليس لعدم إلقائه القبض على اللص "ارسين لوبين" ، الذي استطاع بمهارته ، كلص اعتاد الإجرام ، أن يزج بسيدة بريئة في

السجن بعد أن قتل أربعة أشخاص ليفوز بالملايين دون شريك .

وصرف "بيرينا" السكرتيرة . ثم التقط سماعة التليفون واتصل بالكابتن "داسترينياك" .

قال له :

- اهذا انت يا سيدي ؟ هل قرأت جريدة "إيكودي فرانس" ؟

- نعم .

- ساطلب كاتب هذا المقال للمبارزة باي سلاح .

- هذا شانك إذا كنت تعتقد أن ما جاء بالمقال يشين كرامتك .

وفي اليوم التالي ، صرح صاحب الجريدة التي نشرت المقال بأنه على الرغم من أنه لا يعرف شيئا عن هذا المقال فإنه يتحمل مسؤولية ما جاء فيه .

وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم اصطحب "بيرينا" "داسترينياك" وضابطا وطبيبا في سيارته . وتبعتهم سيارة أخرى تحمل بعض رجال الأمن لحفظ النظام . ومضى الموكب إلى حدائق الأمراء .

وبينما كانوا في انتظار صاحب الجريدة ، مال "داسترينياك" على "بيرينا" ورجاه ألا يقتل غريمه ، فوعده "بيرينا" بأن يجرحه جرحا يستلزم علاجا خمسة عشر يوما .

وعندما التقى الغريمان ، أطلق كل منهما رصاصة على الآخر فاصيب صاحب الجريدة في صدره وسقط على الأرض ولم يصب "بيرينا" بسوء .

وصاح "داسترينياك" :

- أين وعدك يا "بيرينا" ؟

- إني عند وعدي .

وعندما فحص الأطباء الجريح قرروا أن جرحه يحتاج إلى علاج لمدة خمسة عشر يوما وأضافوا أنه نجا من الموت بأعجوبة .

وعاد "بيرينا" إلى قصره في حراسة البوليس .. وعندما بلغه ذلك

حانت منه التفاتة إلى أرض الحديقة . فرأى رقعة من الورق فالتقطها . وما كاد ينشرها حتى رأى المقال الذي نشرته جريدة "إيكودي فرانس" مكتوبا بخط اليد وقد زيدت عليه بعض العبارات فسأل البواب عن مصدر هذه الورقة ، فأجاب الرجل بأنه لا يعلم عنها شيئا .

وعبثا حاول "بيرينا" أن يعرف من الذي ألقى بهذه الورقة في الحديقة ، كما فشل في معرفة كاتبها .

وفي الساعة العاشرة مساء انبأه الخادم بقدوم رجل يطلب مقابلته يدعى "اسكندر" . فأمر بدخوله .

ودخل "مازيرو" إلى الغرفة وكان يرتدي ثوبا غريبا بقصد التنكر.

وصاح "بيرينا" :

- اين كنت يا "اسكندر" طول هذه المدة ؟ هل اتفقت مع "ويبر" على حجزي بالقصر إلى ما شاء الله ؟ وماذا وراءك من أنباء ؟ تكلم.

- سيدي ..

- تكلم . ! أين الرجل صاحب العصا المصنوعة من الأبنوس ؟ هل علمت من هو ؟

- نعم .. فقد رآه أحد مرتادي الحانة عند خروجه منها وسمعه يسأل أحد المارة عن أقرب محطة لترام المترو وتوصله إلى "نويلي" .. فذهبت إلى "نويلي" وهناك علمت أن اسمه "هوبير لوتير" .. ولكنه سافر منذ ستة أشهر . ولما استعلمت عنه من مكتب البريد قالوا إنه اعتاد أن يذهب إلى هناك كل أسبوعين ليتسلم بريده ولكنه انقطع عن الذهاب منذ وقت طويل .

- وهل يحمل بريده اسمه ؟

- نعم .. ولكنه يحمل أيضا أحرفا رمزية هي (ب - ر - و - ٨) وقد علمت من احد زملائي أنه رأى هذا الشخص بالذات في نحو الساعة الحادية عشرة والنصف في محطة "أويتيل" يوم وقوع الجريمة وكان متجها نحو "رانولاخ" . وهذه الشهادة تتفق تماما مع وجود مدام "فوفيل" في نفس الوقت في نفس الحي .. وخاصة أن الجريمة ارتكبت

في نفس اليوم .

- في هذا الكفاية .. انصرف الآن وقابلني بعد نصف الساعة في منزل هذا الرجل .

- أي رجل ؟

- شريك "ماري مرغريت فوفيل" ..

- ولكنك لا تعرف .. !

فصاح "لوبين" مقاطعا :

- لا أعرف ماذا ؟ عنوانه .. لقد قلته لي الآن (ب - ر - و - ٨) أي "بوليفا ريشا والاس رقم ٨ " .. اذهب ولا تكن مغفلا .

وخرج "مازيرو" مسرعا وعرج في طريقه على الشارع "ريشار والاس" بالقرب من غابة "بولونيا" هناك وقف ينتظر "بيرينا" حتى لحق به وسأله :

- أيكون هذا المنزل هو رقم ٨ ؟

فقال لـ"بيرينا" :

- نعم يا سيدي ولكن أرجو أن تشرح لي معنى هذا كله ؟

فقال "بيرينا" :

- لابد أن الشخص الذي يكتب دائما لـ"هوتير لوتير" يعلم عنوانه جيدا ، وإلا لما استعمل هذه الحروف ، ولما كنت خبيرا بهذه المنطقة فقد سهل علي حل هذه الرموز .

- وهل تعتقد يا سيدي ..

فقاطعه قائلا :

- أنا لا اعتقد شيئا ، وإنما أبني نظرياتي على حقائق .. انصت ... فقد سمعت شيئا يتحرك هناك .

وسمعا صوت باب يفتح وخطوات تعدو أمام المنزل فصاح "مازيرو" : إنه هو .. !

- يبدو لي ..

- إنه هو .. انظر إلى العصا ذات المقبض .. وكذا لحيته

واسرعا في اثر الرجل ، فسارا في شارع "ريشار والاس" ثم عرجا على شارع "مايو" حيث كان الرجل يتقدمهما مسرعا ، وتوقف ليشعل سيجارة ثم دخل إلى محطة المترو المؤدية إلى "انويل" ، وهناك مضى إلى منزل "فوفيل" حيث مكث بضع دقائق ثم غادره ثانية وسار في غابة "بولونيا" المظلمة .. فقال "لوبين" .

- هيا إلى العمل .

- ماذا تعني ؟

- اعني انه يجب أن نبادر بالقبض عليه .

- هذا محال .

- لماذا .. أخائف أنت ؟ دعني افعل ذلك وحدي .

- ولكن كيف تلقي القبض عليه بغير ما سبب أو مبرر ؟

فصاح "لوبين" :

- إنه مجرم .. إنه قاتل .. !

- ولكننا لا نملك أمرا بالقبض عليه .

وعبثا حاول "بيرينا" ان يقنع زميله بالا ضرورة للحصول على أمر القبض ، وانه إذا أفلتت منه الفرصة فلن يعوضها ، ولكن هذا أصر على ضرورة اتخاذ الإجراءات الشكلية أولا ، ولم يجد "بيرينا" مناصا من أن يتركه وينصرف إلى منزله وهو يحتدم غضبا وغيظا .

وعاد "مازيرو" فاتصل به تليفونيا في الصباح وقال له إن رجل الأمس موجود في نفس المنزل وانه يستعد لسفر طويل ، وقال إنه علم بذلك من امراة تعمل في المنزل .

فساله "بيرينا" :

- وهل هو وحيد بالمنزل ؟

- نعم ، ولا يزوره احد سوى امراة تتشح بالسواد كما علمت ، اما الرجل فتقول صاحبتي إنه فيلسوف يقضي يومه في المطالعة.

- وهل احضرت أمر القبض ؟

- نعم .

- إذن فساتي في التو .

- كلا .. فإن "ويبر" سيقوم بهذه المهمة .. هل سمعت باخر انباء مدام "فوفيل" ؟

- وما هي ؟

- لقد حاولت الانتحار الليلة .

- أه .. إذن فقد حاولت الانتحار .

وسمع "بيرينا" صيحة دهشة صادرة عن قرب منه ، ولما نظر خلفه وجد السكرتيرة وقد تقلص وجهها ولكنها سرعان ما غادرت الغرفة فسأل نفسه : لماذا يا ترى تتجسس علي . ولصالح من ؟

سمع "مازيرو" يقول :

- لقد أنذرت هي بذلك .

- ولكن ماذا حدث ؟

- ساقص عليك ذلك في وقت أخر .. والآن إني منصرف فحذار أن تحضر وإلا رآك "ويبر" !

- وبالعكس .. سأحضر لأمتع نظري بالقبض على هذا الوحش فلا تخش شيئا فسأكون بعيدا .

- إذن أسرع يا سيدي .

وما كاد "بيرينا" ينتهي من الحديث التليفوني حتى سقط عليه ستار حديدي كاد يقتله لولا أن بادر بحمل القسم الأكبر من الضغط بيديه . وقف حائرا سجينا خلف هذا الستار الحديدي لا يدري ماذا يفعل ولا من أين سقط ولا من دبر هذه المكيدة !!

وبقي "بيرينا" في هذا السجن الحديدي بضع دقائق وهو موزع الفكر مضطرب الأعصاب ثم استعاد هدوءه وأخذ يصيح مناديا الآنسة "ليفاسييه" السكرتيرة لنجدته ولكنها لم تحضر كما لم يحضر احد .. فتساءل : أين ذهبت ؟ لقد كانت هنا منذ بضع دقائق فما معنى هذا

كله ، وما شان هذه الفتاة وما مصلحتها في سجني وكيف سقط هذا الستار الحديدي ؟!

* * *

اجتمع أمام المنزل رقم ٨ بشارع "ريشار والاس" المفتش "ويبر" و"مازيرو" وجمع كبير من رجال البوليس . وكان "مازيرو" يترقب قدوم "بيرينا" . فلما انقضى نصف الساعة ولم يحضر صاح "ويبر" قائلا :

- هيا بنا .. لقد أشارت المرأة لنا .. هلموا بنا .

فهجم الجنود على المنزل بهدوء وسكينة كي لا ينبهوا العدو إلى قدومهم ، ولكن فتحت في هذه اللحظة نافذة أطل منها شخص تساءل قائلا :

- ماذا هناك ؟

فلم يجب "ويبر" واصطحب معه بعض الجنود ودخلوا إلى المنزل بينما بقي جنود آخرون في الحديقة لكي يسدوا أمام المجرم كل سبيل للهرب .. ولما وصلوا إلى الطابق الأول قابلوا رجلا أنيق الملبس كان يهم بالنزول .. فقال له "ويبر" :

- قف .. ألست أنت "هوبير لوتير" ؟

فارتبك الرجل وخاصة عندما رأى خمسة مسدسات مصوبة إليه ولكنه سرعان ما تمالك نفسه وقال :

- ماذا تريدون .. وماذا تصنعون هنا ؟

- جئنا باسم القانون ومعنا أمر بالقبض عليك .

- أمر بالقبض علي ؟!

- بالقبض على "هوبير لوتير" القاطن بشارع "ريشار والاس" رقم ٨ .

- ولكن لا أستطيع أن أفهم .

فلم يدع له "ويبر" فرصة للكلام أو الاحتجاج .. وادخلوه إلى غرفة مجاورة بها بعض المقاعد واجلسوه على أحدها واخذوا يتاملون وجهه الصارم وكتفيه العريضتين .

وقال "ويبر" لـ"مازيرو" :

- ها هو ذا الرئيس قادم .. هل فتشت جيوبه ، هل يحمل سلاحا ؟

- كلا .

ووصل "ديماليون" في تلك اللحظة وشاهد كل شيء وعلم من مساعده ويبر" بكل ما تم فقال :

- هذا حسن .. لقد قبضنا على الشركاء فيجب أن يتكلموا ويعترفوا بكل شيء ، والآن عليكم بمضاعفة الحراسة عليه .

ولم ينطق السجين ببنت شفة ، بل دلت مظاهره على انه لا يدري سبب اعتقاله .

واقترب منه الرئيس وقال له :

- لا ضرورة لأن نبين لك سبب اعتقالك .

فأجاب :

- أرجو يا سيدي أن توضح لي سبب القبض علي . لا شك انكم أخطأتم .

- يبدو أن لك يدا في مقتل المهندس "فوفيل" وابنه "ادمون"

فصاح الرجل مستنكرا :

- هل قتل "فوفيل" ؟ ماذا تقول ؟ وابنه أيضا ؟!

- إن مجرد ذكرك لاسمه بهذه السرعة دليل على أنك تعرفه جيدا وان لك به صلة . وبفرض أنك بريء .. ألم تطالع الصحف منذ خمسة عشر يوما ؟

- أنا لا أطالع الصحف يا سيدي .

- إنك تدعي ..

- أنا لا ادعي شيئا ولكني أؤكد وأتحدى كل من يثبت إني قرأت صحيفة منذ أشهر . لقد كان "هيبوليت" صديقي ولكننا تخاصمنا.

- لأي سبب ؟

- لأسباب عائلية .

- أنت إذن من أقربائه ؟

- نعم .. فإن "هيبوليت" هذا ابن عمي .

- زدني إيضاحا ..

- إن "فوفيل" وزوجته أولاد الأختين "إليزابيث" و"ارمندا روسل" .. ولقد كانت هاتان الأختان تقيمان مع ابن عمهما "فيكتور" ، و"فيكتور سوفيران" هذا أحد أحفاد الجد الأكبر لعائلة "روسل" ، وقد تزوج ورزق بابنين ، مات أحدهما منذ خمسة عشر عاما والآخر هو أنا .

فدهش "ديماليون" لهذه الرواية وقال لنفسه : "إذا كان هذا الرجل لا يكذب ، وإذا كان هو ابن "فيكتور" فإن من مصلحته أن يموت "فوفيل" وابنه وتسجن مدام "فوفيل" لينفرد هو بالإرث ، ولكن لماذا يعترف بهذه الصلة بهذه البساطة التي تثير حوله الشبهات ؟"

وتابع الرجل كلامه قائلا :

- يبدو أن روايتي هذه تدهشك . ؟ فلعلها تبرئني ؟

كان يتكلم بكل ثبات وبصوت هادئ فسأله "ديماليون" :

- إذن فاسمك الحقيقي هو ..

- "جاستون سوفيران" .

- ولكن لماذا تسمي نفسك "هوبير لوتير" ؟

فارتبك الرجل قليلا .. ثم أجاب :

- هذا من شاني وليس من شأن البوليس ؟

فابتسم "ديماليون" وقال :

- ولماذا تختفي في مثل هذا المنزل ؟ ولماذا تعطي عنوانك بالرموز ؟؟ وتحفظ خطاباتك بشباك البريد ؟؟

- ليس من حقك أن تستجوبني عن هذا كله يا سيدي .

- آه تلك هي الإجابة نفسها التي أجابت بها شريكتك !

- شريكتي ؟

- نعم مدام "فوفيل" !

فصاح الرجل دهشا :

- ماذا تقول . ؟ "ماري مرغريت" .. كلا . هذا غير صحيح . آه . إنها هي ايضا ضحية مثلي .

آه ! "ماري مرغريت" في السجن ؟!؟!
وازداد هياج الرجل ولكن "مازيرو" أسكته وأجلسه ثانية .
واقبل "ويبر" في تلك الأثناء فسأله "ديماليون" :
- هل أعددت كل شيء ؟
- نعم يا سيدي .
- كم عددكم ؟
- ثمانية .
- وهل فتشتم المنزل ؟
- نعم .. ولم نعثر على شيء ذي بال .
- إذن أحضر هذا الرجل معك وضاعف الحراسة .
فنهض "جاستون" وسار بينهم في استسلام . فلما بلغوا الباب قال:
- أرجو أن تصدر أمرك إلى رجالك بالمحافظة على جميع أوراقي الموجودة في مكتبتي لأنها ثمرة عمل متواصل ليالي وسنين .. ثم ..
- ثم ماذا ؟
- هناك أوراق خاصة لها أهميتها العظمى بالنسبة إلي ، فارجو أن تكلف رجالك بالعناية بها .
- وأين تحتفظ بها ؟
- توجد غرفة فوق غرفتي ، وبالقرب من نافذتها يوجد زر إذا حرك من مكانه كشف عن المخبأ .
فتوقف الجميع عن السير ، وأمر الرئيس "مازيرو" بالصعود وإحضار الأوراق .. فصعد ثم عاد بعد دقيقتين ليعلن فشله في تحريك الزر فأمر الرئيس "مازيرو" والسجين بالصعود وإحضار الأوراق أما هو و"ويبر" فقد بقيا في غرفة "جاستون" في انتظار عودتهم .
وفجاة سمع "ديماليون" صوت قرقعة صادرة من الطابق العلوي فاندفع نحو الباب وعندئذ سمع طلقين ناريين ، فلما صعد مع "ويبر" إلى الطابق العلوي رأيا "مازيرو" جريحا على الأرض وبجواره ضابط البوليس .

وكان "جاستون" واقفا عند قمة الدرج وبيده مسدس ، فلما لمح رئيس البوليس صوب المسدس إليه فحسب الرئيس أنه ميت لا محالة

وفي هذه اللحظة انطلقت رصاصة سقط على اثرها مسدس "جاستون" من يده فبهت الرئيس . ورأى "بيرينا" يقف على مقربة ومسدسه بيده بينما أسرع "جاستون" فالقى بنفسه من النافذة

فصرخ الرئيس :

- لقد ألقى بنفسه .. لن نفوز به إلا ميتا .

فاجاب "بيرينا" :

- كلا .. ها هو ذا قد نهض .. إنه يتجه نحو سور الحديقة .

- وأين رجالي ؟

- إنهم يضمدون جراح المصابين فوق الدرج .

- يا للشيطان !

وهكذا هرب "جاستون سوفيران" بغير أن يعترض احد طريقه .

فصاح الرئيس :

- ألقوا القبض عليه ! ألقوا القبض عليه !

كانت بالباب سيارتان تنتظران . إحداهما سيارة مدير البوليس والثانية سيارة استقدمها المفتش "ويبر" لنقل "سوفيران" إلى السجن .

وكان سائقا السيارتين جالسين في مقعديهما عندما حدثت المعركة فلما سمعا الطلقات النارية وقفا على استعداد ورأى سائق السيارة الأولى "جاستون سوفيران" وهو يثب إلى الشارع . فأسرع السائقان في أثره .. وكان أولهما أسرع من زميله ، وفي يده العصا ذات المقبض الفضي وكان المفتش "ويبر" قد ضبطها مع المتهم وصادرها .

كانت المعركة بين السائق و"سوفيران" سريعة وحاسمة فقد تحول الشقي فجاة إلى السائق وهجم عليه وانتزع منه العصا وأهوى بها على رأسه فتهشمت العصا وبقي مقبضها في يده .

وفي هذه الأثناء . كان بعض رجال البوليس قد خرجوا من المنزل ورأوا المجرم يفر ، فاطلق عليه أحدهم رصاصة من مسدسه ، ولكنه

أخطاه . وتمكن الشقي أخر الأمر من الفرار .

وحمل القوم ضابط البوليس . ولكن الرصاصة التي أطلقها عليه "سوفيران" كانت قد أصابته في رأسه إصابة قاتلة فما لبث أن أسلم الروح .

أما المفتش "مازيرو" فكانت إصابته سطحية . وقد روى ما حدث بالتفصيل فقال إنه صعد مع "سوفيران" وضابط البوليس إلى الطابق الثاني وهناك أتى الشقي بحركة فجائية سريعة فدس يده في جيب معطف عتيق معلق بالجدران وأخرج منه مسدسا صوبه إلى رأس ضابط البوليس عن كثب وأطلقه فسقط على الأرض في الحال .

ومن ثم صوب مسدسه إلى "مازيرو" وأطلق ثلاث رصاصات أخطأته اثنتان .. وأصابت الثالثة كتفه .

* * *

وهكذا خسر رجال البوليس على وفرة عددهم وعدتهم معركة كان يجب أن يكتب لهم فيها النصر . وفر غريمهم تحت سمعهم وبصرهم .

وصاح "ديماليون" : لقد خدعنا وهزأ بنا .. فويل للشقي وهبط السلم ووجد رجال الشرطة الذين طاردوا "سوفيران" يعودون أدراجهم .

فسأل أحدهم في قلق :

- هه ، ماذا حدث ؟!

فأجاب الشرطي :

- لقد تبعناه حتى عرج في الشارع المجاور وهناك كانت في انتظاره سيارة ، لابد أنها كانت على استعداد . لأنه لم يكد يثب فيها حتى انطلقت به تسابق الريح .

- هل هي سيارة أجرة .

- نعم ..

- إذن سوف نعثر بها ، ومتى علم سائقها من الصحف أن ...

وكان "ويبر" قد لحق به ، فهز رأسه وقال :

- هذا إذا لم يكن سائق السيارة من أعوان الشقي أو شركائه . وبعد

هل تظن ان شقيا مثل "سوفيران" ، تدل اعماله على انه عريق في الإجرام يجهل كيف يطمس آثاره ؟

* * *

وبعد ان اجتمع "برينا" بصاحبه "مازيرو" مرة اخرى واطمان إلى ان إصابته سطحية ، عاد إلى داره ليستانف التحقيق في حادث الستار الفولاذي .

كان هذا الحادث لا يزال يشغله ويثير ريبته وفضوله ..

ترى من يكون ذلك الشخص ؟ "فلورنس ليفاسييه" ؟

لفته إلى هذه الفتاة تلك الصيحة التي افلتت من فمها حين سمعته يتحدث إلى "مازيرو" تليفونيا .

وإذن لم يكن ثمة شك في وجود صلة بين فزع "فلورنس" .. ونبا محاولة مدام "فوفيل" الانتحار . دخل "برينا" مكتبه . وشرع يفحص الباب والجدران القريبة منه . فعثر بالزر الذي يحرك الستار الفولاذي فجربه اكثر من مرة ، واستوثق بان الستار لا يمكن أن يهبط من تلقاء نفسه ، فلابد ان شخصا قد ضغط الزر عمدا .

ترى من يكون ذلك الشخص "فلورنس ليفاسييه" ؟

ولكن ما غرض الفتاة من محاولة الفتك به ؟

* * *

وإنه لا يزال يفكر . إذا بكبير الخدم يدخل عليه ويقول له في جزع يدل على ان خدم القصر لم يكونوا على جهل تام بمركز مولاهم :

- مدير البوليس يطلب مقابلتك يا سيدي .

فهتف "الدون برينا" :

- مدير البوليس ؟ وأين هو ؟

- في قاعة الاستقبال .. لم اعرفه بادئ ذي بدء ..

فلم يلق "بيرينا" إليه بالا . ونهض إلى النافذة فحرك الستار ، والقى ببصره إلى الشارع ، فراى رجال الشرطة يرقبون المنزل كما هي العادة وليست هناك اية قوة إضافية ، أو إجراءات استثنائية ، فالشارع

هادئ ساكن ، وكل شيء يسير في مجراه الطبيعي .

قال لكبير الخدم :

- قل له إنني هنا في انتظاره .

وما هي إلا لحظة حتى اقبل مسيو "ديماليون" يتبعه المفتش "ويبر" . وكان أولهما واجما متجهما فاحنى رأسه على سبيل التحية .. أما المفتش "ويبر" فإنه لزم الصمت .. وتجنب النظر إلى وجه "الدون برينا" .. ولاحظ "الدون بيرينا" ذلك .. فتجاهل وجوده .

وساد السكون لحظة ، ثم قال مدير البوليس فجاة :

- هل عدت إلى منزلك مباشرة ؟

- نعم يا سيدي .

- وقضيت كل وقتك في هذه الغرفة ؟

- نعم ..

- أما انا فقد غادرت منزل "سوفيران" بعد ثلاثين او أربعين دقيقة ، وقصدت بسيارتي توا إلى إدارة البوليس ، ولكنني لم أكد أصل حتى وردت إلي هذه البرقية .

وأخرج من جيبه برقية ، قدمها إلى "الدون بيرينا" .. فتناولها هذا وقرأ فيها ما يلي :

" إن "جاستون سوفيران" قد التقى بعد هروبه بشريكه "الدون بيرينا" الذي تعلمون انه "ارسين لوبين" بعينه ، و"ارسين لوبين" هو الذي دلكم على مكان "سوفيران" لكي يتخلص منه فيخلو له الجو ويصبح الوريث الأوحد لثروة "مورنينجتون" ، ولكن الرجلين عادا وتفاهما وتم الاتفاق بينهما على العمل معا ، وقد دبر "لوبين" لشريكه مخبأ وستجدون في أحد أدراج "لوبين" مقبض العصا التي اعتاد "سوفيران" أن يحملها . والتي تحطمت في يده أثناء عراكه مع سائق سيارتكم" .

وهز "بيرينا" كتفيه استخفافا وطوى البرقية وردها إلى مدير البوليس دون أن ينطق ببنت شفة .

ساله مدير البوليس :

- هل عندك ما تدفع به هذه التهمة ؟
- كلا يا سيدي .
- إنها تهمة صريحة كما ترى . ومن السهل التحقق من صحتها.
- نعم يا سيدي .. ها هو ذا مكتبي .. لك مطلق الحرية في تفتيشه .

فتريث "ديماليون" بضع ثوان .. ثم تقدم إلى المكتب .. وفتش أحد الأدراج ، فلم يجد شيئا .. ففتش الدرج الثاني فالثالث .. وما كاد يفتح الرابع حتى وقع بصره في داخله على مقبض العصا.

ورأى "الدون بيرينا" مقبض العصا في يد مدير البوليس . فافلتت من فمه صيحة دهشة وعجب ..

من ذا الذي يستطيع أن يثبت أنه مقبض العصا التي كان يحملها "سوفيران" ؟

وكانما أدرك مدير البوليس ما يجول بخاطره . لأنه قال على الفور :

- وجد المفتش "ويبر" الجزء الآخر من العصا في شارع "ويشار والاس" وجاء به .

وأبرز "ويبر" من تحت معطفه الجزء المتبقي من العصا . وبوضع الجزءين لصق بعضهما ببعض ظهر في الحال أنهما يكونان عصا واحدة .

ولم يجد "بيرينا" ما يقوله . ولكنه راح يسائل نفسه في غضب وحنق كيف استطاع "جاستون سوفيران" في أقل من عشرين دقيقة أن ينفذ إلى مكتبه .. ليوقعه في هذه الورطة .

التفسير الوحيد لهذه المعجزة هو أن يكون لـ"جاستون" شريك يقيم في البيت .

قال لنفسه : ها هي ذي المحاولة الثانية لإزالتي من الطريق . وهي تشبه من جميع الوجوه محاولة مدام "فوفيل" إذ دست زمردة الخاتم في خزانة زوجها القتيل .

قال مدير البوليس في شيء من الضجر .

- ماذا تقول يا سيدي . ألا تدافع عن نفسك ؟!

- كلا يا سيدي . ليس عندي ما أدافع به عن نفسي .

فضرب "ديماليون" الأرض بقدمه وفتح النافذة وأطل منها .

قال له "الدون بيرينا" :

- هل أدعو رجالك إلى الدخول يا سيدي ؟

فلم يجب مسيو "ديماليون" . وأغلق النافذة ، وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

وبينما كان "الدون بيرينا" يقدح فكره في البحث عن أسباب تردد مدير البوليس وقف هذا الأخير أمامه فجأة . وقال له :

- إذا أنا اعتبرت هذا الحادث كأنه لم يكن . وافترضت أن وجود مقبض العصا في مكتبك هو دليل على خيانة أحد خدمك وليس دليلا على اشتراكك في جريمة ما . وإذا تناسيت كل شيء ولم أقم وزنا لغير الخدمات التي قدمتها للتحقيق في هذا الحادث ، وأخيرا . إذا أطلقت سراحك فأصبحت حرا . ماذا يكون ؟!

فلم يتمالك "بيرينا" من الابتسام .

كان يشعر منذ البداية أن القوم في أشد الحاجة إليه .

سأله :

- تعني أن أصبح حرا بكل ما في الكلمة من معنى . فلا رقابة ولا مطاردة .

- نعم .

- وإذا استمرت حملات الصحف عليّ بقصد إثارة الرأي العام . وتحريض البوليس على اتخاذ إجراءات من شأنها ..

فقاطعه مدير البوليس :

- أعدك بألا نتخذ ضدك أي إجراء .

- إذن يجب ألا أخشى شيئا ؟

- نعم لا تخش شيئا .

- في هذه الحالة يا سيدي تستطيع أن تطمئن إلى أن الفوز سيكون في جانبنا ، وسأبذل كل ما في وسعي لنصرة العدالة .

ترى هل شعر مسيو "ديماليون" في قرارة نفسه بأن "الدون بيرينا" و"أرسين لوبين" هما شخص واحد .

لم يكن في سلوك مدير البوليس ما يؤكد هذا الرأي أو ينفيه . وليس بعيدا أن تكون هذه المحالفة التي عقدها معه "ديماليون" هي كغيرها من المحالفات التي يضطر أولو الأمر في كثير من الأحيان إلى عقدها لمصلحة العدالة .

سأله مدير البوليس :

- هل لديك ما تريد أن تسألنيه ؟!

فأجاب "بيرينا" :

- نعم يا سيدي .. لقد قرأت في الصحف أن رجال البوليس عثروا في جيوب "فيرو" على طائفة من الأوراق . فهل كان بين هذه الأوراق ما يرشد إلى الأشقياء الذين طاردوه وفتكوا به ؟!

- كلا لم يكن بين هذه الأوراق ما يستحق الذكر . كلها أوراق شخصية وقوائم حساب . آه . نسيت . وجدنا كذلك بين أوراقه صورة امرأة . لم أوفق إلى معرفة شيء عنها .

ولكني أعتقد ألا صلة بينها وبين القضية التي نحن بصددها . ها هي ذي .

فتناول "الدون بيرينا" الصورة . ولم يكد يلقي ببصره عليها حتى جمد في مكانه .

ولاحظ مدير البوليس دهشته . فسأله :

- هل تعرفها ؟

- كلا . كلا يا سيدي . لقد حسبت أول الأمر أن ... ولكن لا . هناك بعض الشبه فقط . وسوف أتأكد . هل تستطيع أن تترك هذه الصورة معي حتى المساء ؟!

- حتى المساء ؟ حسنا وتستطيع بعدئذ أن تردها إلى المفتش "مازيرو" .

وبهذا انتهت المقابلة وانصرف مدير البوليس فرافقه "بيرينا" إلى

الباب وهناك تحول إليه "ديماليون" فجاة وقال له :

- إنك انقذت حياتي اليوم .

فاجاب "الدون بيرينا" في تواضع :

- يا سيدي إنني لم ..

- نعم . نعم . انت انقذت حياتي . ولا يسعني إزاء شهامتك إلا أن أعبر لك عن شكري .. وشد على يده بحرارة .

أما المفتش "ويبر" ، فإنه دس يديه في جيبه . حتى لا يضع يده في يد رجل يعتقد أنه من الخارجين على القانون . ولاحظ "الدون بيرينا" ذلك فابتسم .

* * *

وما إن انصرف "ديماليون" و"ويبر" حتى دق "بيرينا" الجرس .

واقبل كبير الخدم فقال له :

- ادع الآنسة "ليفاسيبه" لمقابلتي

ثم أخرج من جيبه الصورة الفوتوغرافية التي أخذها من مدير البوليس .

كانت صورة فتاة في مقتبل العمر ، ترتدي ثوب سهرة يكشف عن صدرها .

غمغم : هل يمكن ان تكون هي "فلورنس ليفاسيبه" ؟

والقى ببصره على باطن الصورة . وأمعن النظر في الكلمة التي وجدها مكتوبة بمداد أوشك أن يتلاشى وبعد جهد استطاع أن يتبين هذه الكلمة : "فلورنس" .

قال : نعم . إنها "فلورنس ليفاسيبه" بغير شك . ولكن كيف وصلت هذه الصورة إلى جيب "فيرو" . وما صلة هذه الفتاة السانجة بهذه الحوادث المخيفة ؟!

وتذكر حادث الستار الفولاذي . ومقال (الإيكودي باري) الذي كتب على ورقه الخاص .

وتذكر كذلك لغز مقبض العصا الذي وجد في درج مكتبه واخذ يقدح

فكره عله يهتدي إلى حقيقة الدور الذي تلعبه هذه الفتاة .

كان يفكر وعيناه تحملقان في الصورة .. لقد ارتسمت على شفتيها في الصورة ابتسامة ساحرة ..

وفجاة ، فتح الباب . ودخلت "فلورنس ليفاسييه" وفي هذه اللحظة . مد "الدون بيرينا" يده وتناول آنية ملأ من مائها قدحا ، وعندما هم بان يرفع القدح إلى شفتيه هجمت عليه الفتاة ، وامسكت بيده . وانتزعت القدح منه . وقذفت به على الأرض فتحطم .

قالت بصوت مختنق :

- هل شربت من هذا الماء ؟!

فاجاب :

- كلا .. لم أشرب منه بعد . لماذا ؟!

غمغمت :

- إن ماء هذه الآنية مسمم ..

فوثب من مكانه بعنف . وقبض على ساعدها وصاح بصوت مخيف:

- هذا الماء مسمم ؟! تكلمي ؟! هل أنت واثقة ؟؟

وملكه نوع من الرعب والذعر حين تمثلت أمام عينيه جثث "فوفيل" و"ادمون" و"فيرو" .. لو أنه تناول جرعة واحدة من هذا الماء لكان مصيره كمصير هؤلاء التعساء .

فصاح بها بلهجة الآمر :

- تكلمي .. هل أنت واثقة ؟

قالت :

- كلا .. لست واثقة .. ولكنه شعور مبهم خالجني .. شعرت بتشاؤم وانقباض ..

ولاح كأنها ندمت على الكلام الذي نطقت به ..

صاح :

- أريد أن أعرف الحقيقة .. هل أنت واثقة بان ماء هذه الآنية مسمم؟

فقاطعته :

- لقد كان مجرد وهم .

ليس أسهل من التحقق .

ومد يده ليتناول آنية الماء .. ولكن الفتاة كانت أسرع منه .. فاختطفت الآنية الزجاجية . وضربت بها الطاولة فتحطمت .

صاح "بيرينا" في غيظ وحنق :

- ماذا فعلت ؟

- قلت لك إنني كنت مخطئة .. فلا يجب أن تعلق اهمية على ما حدث.

ولكن "الدون بيرينا" لم يصغ إليها .. بل وثب إلى الخارج مسرعا .. وما هي إلا لحظة حتى عاد وبين يديه كلب صغير ..

وضع الكلب بالقرب من المكان الذي سال فيه الماء .. وكانت بقية من السائل قد بقيت في حطام الإناء ، فلعقه الكلب .. ولم يكد لعابه يصل إلى جوفه .حتى جمدت حركته .. ومرت بجسده هزة عنيفة . ودار حول نفسه مرتين أو ثلاثا .. ثم سقط على الأرض . وسكنت حركته..

وفحص "الدون بيرينا" الحيوان . ثم قال بصوت هادئ :

- لقد مات .

ثم تحول إلى الفتاة وقال :

- كنت تعلمين أن الماء كان مسمما ..!؟

وملكت الفتاة نفسها .. وظلت محتفظة برباطة جاشها وقالت :

- رأيت الكلب الآخر يلعق بعض الماء ويموت على الأثر .. وقد أخطرت بذلك سائق السيارة والحوذي .. وجئت مسرعة لأحذرك .. إشفاقا من أن يكون الماء الذي أعد لك قد سمم كذلك ...

- ولكن .. لماذا قلت إنك غير واثقة بان الماء مسموم مع أن ...

ولكنه لم يتم كلامه .. بل عاد فاطرق إلى الأرض مفكرا ..

ثم قال فجأة :

- عندي ما أحب أن اقوله لك .

وأمسك بيدها وخرج من الغرفة وهي تتبعه .. فاجتازا الدهليز

الممتد امام الغرفة .. وعرجا على جناح آخر في القصر .. كان الجناح خاصا بالآنسة "فلورنس" . فقصد بها إلى إحدى الغرف الخارجية .

وأوصد الباب وراءه . ثم التفت إلى الفتاة فجاة وقال لها بلهجة تدل على العزم :

- الآن يجب أن نتفاهم .

- ٥ -
الغــاز

كانت تلك أول مرة ينفذ فيها "الدون بيرينا" إلى الجناح الخاص بسكرتيرته .

وكان أثاث الغرفة التي دخلها مع الفتاة متواضعا . ولكنه يدل على ذوق سليم .

جلس "بيرينا" على أحد المقاعد وظلت الفتاة واقفة ولكنها كانت في هذه الأثناء قد استعادت سلطانها على نفسها .

واستبسلت حتى لكانها لا ترهب الاستجواب .

ولزم "الدون يبرينا" الصمت بضع دقائق .. وأدهشه أن ذهنه لا يسعفه بالأسئلة التي يجب أن يلقيها على الفتاة .. كان يريد أن يوجه إليها أخطر الاتهامات ، ولكنه لم يعرف في أية صيغة يسوقها .

قال لها أخيرا :

- هل تعلمين بما حدث في هذا المنزل صباح اليوم ؟

- صباح اليوم ؟

- نعم .. عقب الحديث التليفوني الذي دار بيني وبين أحد أصدقائي.

- أنباني الخدم بما حدث .

- ألم تعلمي بما حدث قبل أن ينبئك به الخدم !

- كيف كان يمكنني أن أعلم ؟

كانت تكذب .. ولم يكن شك في كذبها .

قال لها :

- سأسرد عليك بإيجاز تفصيل ما حدث ...

إنني لم أكد أفرغ من الحديث التليفوني الذي دار بيني وبين صاحبي وأهم بالخروج من الغرفة .. حتى سقط من أعلى الباب ستار

من الفولاذ كاد يهشم رأسي ..

وقد وجدت نفسي عندئذ شبه سجين .

ولما كانت الحديقة فسيحة .وتفصل المنزل عن الشارع فلا يمكن للسابلة أن يسمعوا صياحي .. فإنني لجات إلى الوسيلة الوحيدة للخلاص فاتصلت تليفونيا بالكونت "داسترينياك" . وطلبت إليه أن يسرع إلى القصر .. وأن ينبئ خدمي بانني شبه سجين في غرفتي وبذلك تم لي الخلاص فهل أنباك الخدم بذلك ؟

– نعم يا سيدي .. ولكن كنت في ذلك الوقت في الجناح الخاص بي . وهو بعيد عن جناحك كما ترى .. فلم أسمع صوت سقوط الستار .

– وما قولك في أنني علمت من كبير الخدم بعدئذ أن جميع أهل هذا البيت يعلمون بوجود هذا الستار الفولاذي .

– ذلك صحيح .

– ومن الذي انباكم بوجوده ؟

– الكونت "مانوليسكو" الثري الروماني الذي كان يملك هذا القصر قبلا .. وقد ذكر لنا طرفا من تاريخ القصر ..

– مما يؤسف له أن أحدا لم ينبئني بوجود هذا الستار الذي أوشك ان يهشم جمجمتي .

فلم يبد على الفتاة شيء من الجزع او الأسف .. وقنعت بأن قالت بهدوء :

– ربما كان به عطب جعله يهبط من تلقاء نفسه .

– ليس بالستار أي عطب .. انا واثق بذلك ..

– من الذي حرك الستار إذن ؟

– إن الستار سقط بفعل عدو أجهله .

– هل رأى أحد ذلك العدو ؟

– شخص واحد كان يستطيع أن يراه . وذلك الشخص هو أنت ذلك لأنك كنت بالقرب من مكتبي .. وقد سمعت طرفا من حديثي التليفوني وازعجك – فيما أذكر – نبأ محاولة مدام "فوفيل" الانتحار .

- نعم .. إن نبا هذه المحاولة ازعجني .. فانا اشفق على هذه المرأة التعسة .

- ولما كنت انت وقتئذ اقرب الناس إلى الزر الذي يحرك الستار فلا شك انك رايت ذلك العدو الذي أراد الفتك بي .

وحملق إلى وجهها ولكنها لم تغض من بصرها .

كل ما هنالك أن حمرة طفيفة صعدت إلى وجنتيها .

قالت :

- كان يجب أن أراه لولا أنني انصرفت حقا من الغرفة قبل وقوع الحادث ببضع ثوان .

- وأعجب من ذلك أنني ضربت الستار بقبضة يدي بكل قوتي . فلم تصل إلى أذنيك الضجة التي أحدثتها ... أو الصيحات التي أرسلتها.

- لا شك أنني كنت وقتئذ قد وصلت إلى غرفتي فلم اسمع صيحاتك.

- وإذا تركنا مؤامرة الستار جانبا .. وجب أن نفترض أن شخصا له اتصال بجرائم شارع "شوسيه" قد استطاع أن يتسلل إلى غرفتي .. وأن يخفي في درج مكتبي مقبض عصا لأحد الأشقياء المتهمين بارتكاب هذه الجرائم .. فهل تعلمين شيئا عن ذلك الشخص ؟

فظهرت عليها علامات الدهشة وكأنها خالية الذهن تماما .

وانحنى "بيرينا" إلى الأمام ، وقال وهو يحملق إلى عينيها بشدة:

- اعترفي على الأقل بأن كل ذلك عجيب .

- عن أي شيء تتكلم ؟!

- عن سلسلة هذه الحوادث التي دبرت ضدي في هذين اليومين .. فبالأمس عثرت على أصول المقال الذي نشرته جريدة "الإيكو دي باري" واليوم كاد الستار الفولاذي يهشم رأسي .. واكتشف مدير البوليس في مكتبي دليلا عجيباً يثبت اشتراكي في جرائم لا ضلع لي فيها .. واليوم كذلك كدت أموت مسموما . فهزت رأسها وقالت :

- نعم .. نعم .. هذه في الحق مصادفات عجيبة .

- إنها ليست مصادفات بحتة يا آنسة .. إنها أدلة ملموسة على

وجود عدو لي في هذا البيت .

أعلم أنني ساتعرض للمزيد من الأخطار . لقد نجوت حتى الآن من السم . والتهشيم . والاعتقال ولكن لا يزال هناك الخنجر . والمسدس . والحبال . هذا العدو الذي يقيم معي تحت سقف بيتي يريد أن يزيلني بأية وسيلة . لماذا ؟ لأن لي صلة بميراث "مورنينجتون" ؟ هذا مؤكد ، لقد هلك بسبب هذا الإرث اللعين حتى الآن أربعة أشخاص . فهل أكون الخامس ؟

واقترب من الفتاة خطوة أخرى . ولكنها لم تجزع ولم تتقهقر .

هتف :

- نعم . من هو هذا الشريك الذي يقيم في بيتي ويريد لي الموت؟

- لا أعلم .. لا أعلم .. ربما لم تكن هناك مؤامرة كما تتوهم .

وود "الدون بيرينا" في هذه اللحظة أن يصرخ في وجهها :

- أنت كاذبة .. إنك أنت ذلك الشريك .. إنك أنت التي سمعت الحديث التليفوني بيني وبين "مازيرو" .. أنت التي أردت تعويقي عن المساهمة في القبض على "سوفيران" .. أنت التي أردت الإسراع لنجدته .. أنت التي انتظرته بالسيارة وساعدته على الفرار .. وأخيرا أنت التي أخذت منه مقبض العصا وأخفيته في درج مكتبي .

نعم .. أنت التي فعلت كل هذا أيتها الحسناء . بقصد الفتك بي لأسباب ما زلت أجهلها .

إن اليد التي تضرب في الظلام هي يدك .

ولكن كان من المستحيل أن يصارحها بهذا لأنه يفتقر إلى الدليل المقنع . وذلك ما أغاظه على أن لهجته ونظراته كانت كلها اتهاما صريحا للفتاة .

قال :

- حسنا .. سأستجوب جميع الخدم وأطرد من تحوم حوله الشبهات منهم .

فهتفت الفتاة :

- كلا لا تفعل . إني اعرفهم جميعا وهم فوق الشبهات .

ودهش "الدون بيرينا" للتحول العجيب الذي طرا على الفتاة فقد استحال موقفها من الحزن إلى ما يشبه الاستعطاف وطلب الرحمة.

ولكن الرحمة لمن ؟ للخدم ؟ . لنفسها ؟ . لزم الصمت لحظة . وراح يفكر .

وهنا فقط تذكر صورتها الفوتوغرافية ورأى على وجه الفتاة كل أسباب الفتنة .

سأل نفسه : هل يمكن أن تكون هذه الفتاة الفاتنة قاتلة اثيمة ؟؟

قال لها :

- هل هذه صورتك ؟

وقدم لها الصورة .. فتأملتها . وهتفت :

- نعم .. كيف وصلت إليك ؟ قل .. تكلم .. كيف وصلت إليك هذه الصورة .. إنها صورتي إذ كنت لا أزال في الخامسة عشرة من عمري.. فتاة بريئة طروبا .

ولأول مرة رأى "بيرينا" الدموع تترقرق في عينيها .

* * *

غمغمت الفتاة مرة اخرى :

- نعم .. كنت أعيش في "إيطاليا" في ذلك الوقت .. وكنت جميلة..

ولكن الصورة لم تلبث أن اختفت .. سرقت مني .. كما سرقت أشياء أخرى .

واطرق "بيرينا" رأسه . وفكر : كلا .. إنها ليست من الطراز الذي يرتكب جريمة قتل .. بل وليست من الطراز الذي يشترك في ارتكاب جريمة .. ومع ذلك .

وابتعد عنها .. واخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا .. بين الباب والنافذة .. ويتطلع بين الفينة والفينة إلى صور المناظر الطبيعية "الإيطالية" المثبتة على الجدران .. ثم لفت نظره مجموعة الكتب المرتبة في الدواليب .

كان بعضها فرنسيا .. وبعضها بلغات أجنبية أخرى . بين قصص . ومسرحيات . ودواوين شعر .. وبحوث أدبية .. وكلها تدل على ثقافة رفيعة .

ولفت نظره جزء من مجموعة مؤلفات شكسبير .. هو الجزء الثامن .

كان لا يختلف عن الأجزاء الأخرى اختلافا جوهريا .. ولكن شيئا في تجليده يميزه عن سائر الأجزاء .. فمد "بيرينا" يده وانتزعه من مكانه بخفة .

لقد صدق ظنه .. فليس للكتاب من مظاهر الكتب غير الغلاف .. بينما هو في الواقع صندوق مفرغ . وفي فراغه طائفة من ورق الرسائل والأغلفة .

كان الورق يشبه من كل الوجوه ، الورق الذي كتبت عليه مسودة مقال "الإيكو دي باري" وعض على شفتيه غيظا وحنقا .

لقد أوشكت اللعينة أن تخدعه بدموعها . بينما هي في الواقع لا تختلف في شيء عن طراز "ماري مرغريت فوفيل" و"جاستون سوفيران" .

إنها مثلهما كاذبة خادعة . منافقة . تجيد التظاهر بالسذاجة والبراءة .

* * *

رد الأوراق إلى مكانها من الكتاب .. وأعاد الكتاب إلى موضعه .. كل ذلك دون أن تشعر به الفتاة .

- ٦ -

الاعتراف

ترى هل هي الأداة المنفذة والآلة الصماء في يد مجرم عنيد ذي عقلية جبارة تدبر كل هذه الجرائم من وراء ستار ؟؟ أم تراها صاحبة هذه العقلية .. ومدبرة كل هذه الدسائس ؟

يجب أن يفكر .. قبل أن يضربها الضربة القاضية .

* * *

وغادر غرفة الفتاة .. وقصد إلى مكتبه وهو مستغرق في التفكير..

ولكنه لم يكد يدخل .. حتى شعر شعورا غامضا بأن هناك خطرا يترصده .

رفع رأسه بسرعة . وجمد في مكانه .

ذلك أنه وجد نفسه وجها لوجه أمام "جاستون سوفيران" .

* * *

كان الرجل واقفا منتصب القامة في وسط الغرفة . وقد عقد ساعديه فوق صدره .

وكان أول ما فعله "بيرينا" انه مد يده إلى جيبه بسرعة البرق .. وشهر مسدسه في وجه "سوفيران" .. وصاح :

- ارفع يديك .. وإلا أطلقت عليك الرصاص .

ولكن "سوفيران" لم يعبأ بالتهديد ...

وأومأ برأسه نحو مسدسين . كان قد وضعهما على المكتب وقال في هدوء :

- إليك سلاحي .. لقد جئت لأتحدث . لا لأقاتل ..

فصاح "بيرينا" :

- كيف استطعت الدخول ؟

فلزم "سوفيران" الصمت . وضرب "بيرينا" الأرض بقدمه وصاح وهو يكاد ينشق غيظا :

- أجب .. أجب ..

وفي هذه اللحظة .. رأى من ركن عينيه "فلورنس ليفاسييه" وهي تقتحم الغرفة وتلقي بنفسها بين ساعدي "سوفيران" وتصيح دون أن تلقي بالاً إلى "بيرينا" :

- لماذا جئت ؟؟ الم تعدني بانك لن تجيء . الم تقسم لي ؟

ولكنه تخلص منها بلطف . وقال وهو يجلس على أحد المقاعد :

- دعيني ادبر الأمر يا "فلورنس" .. إنني لم أعدك واقسم لك . إلا لكي اطمئنك .

- كلا .. كلا .. إن ما تفعله هو الجنون بعينه .. حذار أن تنطق بكلمة واحدة ..

فمسح جبينه بيده .. وقال :

- دعيني افعل يا "فلورنس" .

فصمتت .. وكانما جردتها عذوبة صوته من كل إرادة .

* * *

ورأى "بيرينا" كل هذا وهو مذهول مشدوه .. لا يكاد يصدق حواسه . كيف رضيت هذه الفتاة الجميلة الوديعة أن تكون عشيقة هذا الوحش؟

لا باس .. إن كليهما في قبضة يده الآن ..

وتناول مسدسي "سوفيران" . ووضعهما في درج مكتبه ثم اغلق الباب .. وقال محدثا "سوفيران" .

- والآن .. لنتحدث .. هذه هدنة بيننا .. ولكنها هدنة مؤقتة وقصيرة الأجل .. لمجرد سماع ما تريد الإفضاء به .. فهل انت نادم على الخطوة التي خطوتها ؟

فابتسم "سوفيران" في هدوء وأجاب .

- كلا .. لست نادما على شيء .. ولست أخاف شيئا . فقط أريد أن ألقي عليك سؤالا .. هو .. هل تؤمن في قرارة نفسك ببراءة مدام "فوفيل" ؟! فهز "بيرينا" كتفيه وأجاب .

- إن الأمر لا يتعلق ببراءة مدام "فوفيل" أو إدانتها .. وإنما يتعلق بكما أنتما .. فتكلم في الموضوع .. وبسرعة . فقد وعدت مدير البوليس بتسليم المجرمين في أقرب وقت .

فنهض الرجل والفتاة بغتة فسألا :

- ومن هم المجرمون ؟!

- يا لله .. إنك تعرفهم حق المعرفة . إنهما الرجل صاحب العصا ذات المقبض الفضي . المتهم بصفة قاطعة بقتل ضابط بوليس "بويلي" وشريكته التي أسهمت في جميع جرائمه .

- هل هذا هو اعتقادك ؟؟

- وهل في ذلك شك .. لقد خسرت المعركة أيها الصديق .

وساد صمت عميق . وأخيرا تهالك "سوفيران" في مقعده . وغمغم:

- حسنا .. لقد وقعت في الفخ .. فلتكن إرادة الله .. ومع ذلك يجب أن أصارحك بكل شيء .. هذا كل ما أبتغيه الآن .

- تكلم .. إن الباب مغلق .. وسأفتحه حين يحلو لي

- سأتكلم باختصار .. وأدلي إليك بمعلوماتي وهي ليست كثيرة .. ولا أريد أن تصدقني .. وإنما أرجوك أن تصغي إليّ كما لو كنت لا أقول غير الصدق .

وصمت لحظة ثم أردف :

- أنت تعلم أن بيني وبين "هيبوليت فوفيل" وزوجته صلة قرابة .. وقد كانت العلاقات بيني وبينها قاصرة على المراسلات .. فكنت أكتب إليهما ويكتبان إلي من وقت لآخر .. إلى أن شاءت الأقدار أن نلتقي ..

وكان لقاؤنا في "باليرمو" .

وقد عشنا معا خمسة أشهر كنا خلالها نتقابل كل يوم وقد تبين لي منذ الأسبوع الأول أن العلاقة بين "فوفيل" وزوجته ليست على ما يرام.

وذات مساء .. فاجأت "ماري مرغريت" وهي تبكي إثر شجار بينها وبين زوجها . فتأثرت لبكائها ، ولم أقو على كتمان شعوري نحوها .. فقد أحببتها من أول نظرة .

* * *

قال الرجل ذلك . . ونظر إلى "فلورنس" ولكنها لم تتكلم ودفنت وجهها بين كفيها .

استطرد "سوفيران" :

– وقد بادلتني "ماري مرغريت" حبا بحب .. ولكنها أصرت على أن تقف الصلة بيننا عند حدود الصداقة البريئة فأقسمت لها على أن أحترم قرارها .

وكان "هيبوليت فوفيل" في هذه الأثناء غارقا إلى أذنيه في غرام إحدى الراقصات . وكان يسرف في السهر والغياب عن بيته . فرأيت من واجبي أن أعنى بأمر "أدمون" من الناحية الصحية فقد كان الفتى مريضا عليلا منذ نعومة أظفاره ..

وهكذا تذوقنا نحن الثلاثة طعم السكينة والسعادة .. وكانت تشاطرنا سعادتنا صديقة مخلصة .. وناصحة أمينة نبيلة هي "فلورنس" .

* * *

وهنا أحس "بيرينا" بقلبه يخفق . فقد آن له أن يعرف سر "فلورنس"؟!

استطرد "سوفيران" .

– كان قد حدث قبل ذلك بخمسة عشر عاما أن كفل أخي "راؤول

سوفيران" في "بونس أيرس" بالأرجنتين فتاة يتيمة كان أبواها صديقين له . فلما مات أخي . عهد بالفتاة - وكانت وقتئذ في الرابعة عشرة من عمرها - إلى خادمة عجوز من خادمات الأسرة كانت قد رافقت أخي في رحلته إلى "الأرجنتين" فلما توفى أخي .. جاءتني الخادمة بالفتاة .. فاصطحبت الفتاة إلى أصدقاء لي في "إيطاليا" . وهناك كبرت وتعلمت وأصبحت من ترى الآن .

وأومأ برأسه نحو "فلورنس" . ثم استطرد :

- كبرت "فلورنس" وترعرعت .. وكانت منذ صغرها راجحة العقل . شديدة الحرص على استقلالها ، فلم تشأ أن تكون عالة على أحد . فالتحقت بإحدى العائلات بصفة (مربية) .. ولما أتم "فوفيل" بناء منزله في شارع "شوسيه" اصطحبها معه لتشرف على تربية "أدمون" الذي كانت تحبه بقدر ما كانت تخلص لـ"ماري مرغريت" .

وعشنا جميعا في سلام ووئام وسعادة إلى أن حدث حادث سخيف قوض هناءنا . ذلك أني كنت أسجل في مذكراتي اليومية كل ما يقع لي من حوادث ، وما يعتمل في نفسي من مشاعر وإحساسات . بل لقد سجلت فيها ما أتوقع من سعادة فيما لو قدر لي أن أقترن بـ"ماري مرغريت" والكلمات العذبة التي كان يمكن أن نتناجى بها . ومن سوء الحظ .. أن وقعت هذه المذكرات بين يدي . "فوفيل" ولست أدري كيف وقعت .. ولكنها هكذا شاءت الأقدار .

وقرأ "فوفيل" المذكرات .. وغضب غضبا شديدا . وأراد في أول الأمر أن يطرد "ماري مرغريت" .. ولكنه لم يسعه .. إزاء دلائل براءتها وطهارتها .. وصدقها .. واستنكارها لفكرة الطلاق . ووعدها القاطع له بألا تقابلني . أو تتحدث إلي . أقول . لم يسعه إزاء هذا كله إلا أن يهدأ ويصفح عنها .

ورحلت . واليأس يملأ قلبي . وطردت "فلورنس" من بيت "فوفيل" .

ولم يحدث بعد ذلك أن رأيت "ماري مرغريت" . رغم أن حبا قويا قاهرا ظل يسيطر على قلبينا .

* * *

شيء واحد كان يدهش "بيرينا" ذلك هو هدوء "سوفيران" والسهولة التي كان يسرد بها ماساة حياته .

واستطرد "سوفيران" :

- حدث بعد ذلك انني جندت .. وارسلت مع فرقتي إلى إحدى المقاطعات الفرنسية الوسطى

- ومدام "فوفيل" ؟

- إنها بقيت في بيتها في "باريس" . وتناست هي وزوجها الماضي .

- وكيف علمت ذلك ؟! هل كانت تكتب إليك ؟!

- لا . إن "ماري مرغريت" ليست المراة التي تعبث بواجباتها .

ولكن "فلورنس" كانت قد التحقت بخدمة الكونت "مالينسكو" صاحب هذا القصر في وظيفة سكرتيرة .. فكانت "ماري مرغريت" تاتي لزيارتها.. ولم يحدث قط في أي اجتماع لهما بأن دار الحديث بينهما عني . اليس كذلك يا "فلورنس" ؟؟ ولكني واثق بان كل تفكيرها كان ينصب على العاطفة الكريمة الطاهرة التي تجمع بين قلبينا وتؤلف بين روحينا .

واخيرا لم اطق صبرا على فراقها . وكان ذلك سببا في ضياعنا.

فقد حدث منذ عام تقريبا انني استاجرت لنفسي شقة في شارع "رول" عشت فيها عيشة هادئة محوطة بالغموض والكتمان لكيلا يشعر "هيبوليت فوفيل" بعودتي . وكذلك لم يعلم بامر عودتي احد غير "فلورنس" . التي راحت تزورني بين الفينة والفينة .

ولكن الإنسان تعتريه نوبات ضعف في بعض الاحيان مهما كان صلب الإرادة قوي العزيمة . وقد حدث في مساء احد الأيام أن حملتني

قدماي أثناء نزهتي إلى شارع "شوسيه" فمررت ببيت "فوفيل" . ولم أتمالك من التطلع إلى نافذة "ماري مرغريت" .

كان الجو خانقا والحر شديدا في ذلك المساء . فشاءت الأقدار أن أرى "ماري مرغريت" في النافذة .

ولابد . انها رأتني كما رأيتها .. فمضيت في طريقي والدنيا لا تكاد تتسع لي من فرط سعادتي وهنائي .

وحرصت بعد ذلك على أن أمر بالبيت في مثل تلك الساعة ومثل ذلك اليوم من كل أسبوع وفي كل مرة كنت أراها بالنافذة وكانت تراني .

وصمت "سوفيران" ليجفف العرق المتصبب على جبينه وهتف "بيرينا" :

- أسرع بحق السماء . إن الوقت من ذهب . أسرع ؟ وتكلم في الوقائع والحقائق .

ولكن "سوفيران" هز رأسه وأجاب :

- كلا . لن أسرع في حديثي . إنني أزن كل كلمة قبل أن انطق بها فإن لكل كلمة أهميتها وقيمتها . والحوادث في ذاتها لن تهديك إلى حل اللغز . وإنما يهديك إليه تسلسل الحقائق بطريقة منطقية .

- ماذا تعني ؟

- أعني أنك ستلمس الحقائق بين سطور القصة .

- هل تعني بالحقائق براءتك ؟

- بل براءة "ماري مرغريت" .

- إنني لا أجادل في هذا الآن . فإنك لن تستطيع إثبات البراءة بغير دليل .

- هذا صحيح . فهل في مقدورك أن تقدم الدليل ؟

- لا أعلم .

فحول "بيرينا" بصره إلى "فلورنس" ورآها تنظر إليه بكثير من

الرجاء في أن يصدق "سوفيران" قال :

- حسنا .. امض في حديثك

فقال "سوفيران" بصوت هادئ رزين .

- الآن ننتقل إلى أهم الحوادث وأخطرها .. وهي الحوادث التي أرجو أن يتكشف لك على ضوئها ما تبقى من حقائق .. وسأسردها عليك في صدق وإخلاص .

حدث لسوء الحظ أنني التقيت بـ"هيبوليت فوفيل" ذات يوم في غابة "بولونيا" فرأيت من الضروري وبدافع الحرص والحذر أن أغير مكان إقامتي فانتقلت إلى بيت صغير في شارع "ريشار والاس" . حيث راحت "فلورنس" تزورني بين وقت وآخر .

ثم بلغ من حرصي وحذري أنني منعت هذه الزيارات وحظرت على "فلورنس" أن تتصل بـ"ماري مرغريت" إلا بالمراسلات وهكذا ظلت حياتي هادئة مطمئنة بعيدة عن الشبهات .

ولكن يحدث في كثير من الأحيان أن تتلبد السماء الصافية بالغيوم القاتمة فجأة .

وهذا ما حدث لي . فقد علمت فجأة . ولأول مرة . عندما جاء رجال البوليس للقبض علي أن "هيبوليت فوفيل" وولده "ادمون" قد قتلا . وأن "ماري مرغريت" قد ألقي القبض عليها .

وهنا لم يستطع "بيرينا" كبح جماح ثورته وصاح :

- مستحيل . مستحيل . لقد مضى على هذه الحوادث أسبوعان .. ولن أصدق أنك لم تعلم بهما من قبل

- وكيف كان يمكن أن أعلم ؟!

- من الصحف . أو من مصدر آخر مؤكد .. أو من هذه الآنسة .

فقال "سوفيران" مؤكدا :

- من الصحف ؟! إني لا أقرؤها . ألا تصدق ذلك ؟ أترى من

الضروري لكل إنسان أن يضيع من وقته كل يوم ساعة أو ساعتين في قراءة المهاترات السياسية . والحواث المحلية ؟ الا تستطيع أن تتصور إنسان يؤثر على الصحف . قراءة الكتب والمجلات والبحوث العلمية ؟؟ أعلم أن هذا نادر . ولكنه جائز وممكن . وندرة الشيء لا تقوم دليلا على استحالته

أضف إلى ذلك أنني صباح ارتكاب الجريمة . أخطرت "فلورنس" بعزمي على القيام برحلة تستغرق ثلاثة أسابيع .. وودعتها فعلا .

ثم حدث في آخر لحظة أنني عدلت عن الرحلة .. ولم تعلم "فلورنس" بعدولي .. وظنت أنني رحلت فعلا .. فلم تستطع موافاتي بنبأ الجريمة والقبض على "ماري مرغريت" .. كما أنها لم تنبئني فيما بعد بالشكوك التي تحوم حول صاحب العصا ذات المقبض الفضي .. ولا بأن البوليس يبحث عني على اعتبار أني صاحب العصا .

فقال "بيرينا" :

- لا شك أنك لا تستطيع أن تنكر أن صاحب العصا .. الذي تعقب المفتش "فيرو" إلى "حانة الكوبري الجديد" . وسرق منه الرسالة هو أنت .

فقاطعه "سوفيران" :

- إني لست ذلك الرجل .

فهز "بيرينا" كتفيه .

ومضى "سوفيران" في حديثه بلهجة التأكيد :

- إنني لست ذلك الرجل .. هناك خطأ لا أستطيع أن أجد له إيضاحا واقسم لك أنني لم أضع قدمي قط في "حانة الكوبري الجديد" وأود أن تؤمن بأنني صادق في قسمي .

فأنا أكرر القول .. بأنني لم أكن أعلم شيئا عن حوادث شارع "سوشيه" وما تفرع عنها .. وأن الأنباء التي علمتها من رجال البوليس

كانت مفاجاة لي .. بل إنها نزلت علي نزول الصاعقة ، وهذا يفسر الصدمة التي أصابتني وجعلتني أنحو هذا النحو في تصرفاتي .

بحسبك أن تعلم هذا لتدرك لماذا جن جنوني .. ولماذا خدعت مدير البوليس وأطلقت الرصاص على رجاله ..

كان كل همي أن أهرب بأي ثمن لكي أنقذ "ماري مرغريت" والويل لمن يقف في طريقي .. ويحول بيني وبين نجدة أطهر امرأة في الوجود .

إنني قتلت في ذلك اليوم رجلا واحدا .. ولكني كنت على استعداد لأن أقتل عشرة رجال إذا لزم الأمر .. ماذا كانت تهمني حياة ضابط بوليس ماذا كانت تهمني حياة الناس جميعا إذا حالوا بيني وبين "ماري مرغريت"؟

واعتدل "سوفيران" في مقعده وهو يلهث .. ولزم الصمت بعض الوقت ليلتقط أنفاسه .. ويسيطر على انفعاله . ثم استطرد :

- عند ما أطلقت الرصاص على رجال البوليس في منزلي .. وفررت..كنت واثقا بضياعي وبأن رجال البوليس سوف يطبقون علي ولكني لم أكد أصل في فراري إلى نهاية شارع "ريشار والاس" . حتى قابلت "فلورنس" فانقذتني ..

وكانت "فلورنس" تعرف كل شيء .. فقد قرأت الصحف غداة ارتكاب الجريمة المزدوجة قرأتها وسمعت تعقيباتك على النبأ .. وأدركت على الفور أنه إذا كان هناك عدو لـ"ماري مرغريت" يعمل على هلاكها فانت ذلك العدو ..

- ولكن لماذا ؟؟ . لماذا ؟!

فأجاب "سوفيران" بقوة :

- لأنها رأتك تعمل .. وسمعتك تتكلم .. ولأن من مصلحتك قبل أي إنسان آخر أن تتخلص من "ماري مرغريت" .. ثم تتخلص مني .. لتنفرد بميراث "كوزمو مورنينجتون" . وأخيرا لأنها تعلم ..

- تعلم ماذا ؟؟ فتردد "سوفيران" قليلا ثم قال :

- واخيرا لأنها تعلم علم اليقين حقيقة أمرك .. وتدرك أنك "آرسين لوبين" .

وساد صمت عميق .. ونظر "بيرينا" إلى "فلورنس" بحدة .. ولكنها لم تحرك ساكنا ..

قال "سوفيران" :

- وهكذا كان على "فلورنس" .. صديقة "ماري مرغريت فوفيل" أن تناضل خصما قويا واسع الحيلة هو "ارسين لوبين" . ولكي تميط اللثام عن حقيقة "ارسين لوبين" .. كتبت المقال الذي عثرت على مسودته.

ولكي تفسد على "لوبين" تدابيره . وتفوت عليه غرضه من القبض عليّ بعد أن سمعت حديثه التليفوني مع "مازيرو" عمدت إلى الستار الحديدي . فالقت به حاجزا في طريقك لتعوقك عن المساهمة في إلقاء القبض علي .. ولتتمكن من تحذيري ومساعدتي على الفرار إن أمكن ولكنها وصلت بعد فوات الوقت فلم تستطع تحذيري .. وإن كانت قد تمكنت من إنقاذي .

وفي خلال الفترة القصيرة التي استغرقها فرارنا معا بالسيارة .. استطاعت أن تطلعني على الخطوط الرئيسية في مجرى الحوادث وأن تطلعني على الدور الخطير الذي تقوم أنت به .. فوضعنا معا خطة لمقاومتك ومهاجمتك . وصح عزمنا على أن نوحي إلى رجال البوليس بأنك شريكي فكتبت أنا الرسالة لمدير البوليس .. بينما وضعت "فلورنس" في درج مكتبك مقبض العصا..

على أن النضال بيننا وبينك استمر على أشده .. وقد اشتركت فيه بقوة اليائس المستميت .

ولكي تفهم شعوري والعوامل التي حفزتني للعمل .. يجب أن تعلم

أنني رجل علم يعيش في عزلة .. وانني فوق هذا وذاك عاشق مستميت..

وقد كان من الممكن أن اقضي حياتي كلها في بحوثي العلمية وبين كتبي وأدواتي قانعا من السعادة بمجرد المرور ببيت "ماري مرغريت" واختلاس النظرات إليها مرة كل أسبوع .. ولكن ما كاد رجال العدالة يتحرشون بي .. ويمتد عدوانهم إلى المخلوقة التي أحبها أكثر من حياتي . حتى تبدلت رجلا غير الرجل ، واستحال هدوئي إلى نشاط لا حد له .

كانت أعمالي تنم فعلا عن السذاجة والافتقار إلى الخبرة فلما عجزت عن عمل شيء لإنقاذ "ماري مرغريت" وجهت كل نشاطي وركزت كل اهتمامي للقضاء على خصمها العنيد الذي يريد أن يوردها مورد الهلكة .. وهكذا بدأت سلسلة محاولاتي للقضاء عليك.

كنت أقيم في غرفة "فلورنس" تحت سقف بيتك . فحاولت - رغم معارضة "فلورنس" الشديدة - أن أدس لك السم .. وقد غضبت "فلورنس" لذلك غضبا شديداً .. ولكني كنت شبه مجنون . وكان موتك هو في نظري السبيل الوحيد لإنقاذ "ماري مرغريت" .

ولما حانت لي فرصة التفكير في هدوء تفكيرا منطقيا سليما شعرت أنه لا فائدة من هذا النضال العقيم الذي من شأنه أن يزيد في عدد الضحايا .. وقررت أن اتخذ هذه الخطوة التي أنا بسبيلها الآن .. على الرغم من معارضة "فلورنس" أيضا .. والآن .. هل تصدق كل ما ذكرته لك؟؟

فهز "بيرينا" رأسه بعنف وصاح :

- كلا .. كلا ..

فهتف "سوفيران" بقوة :

- بل يجب أن تصدقني .. يجب أن تؤمن بالقوة التي حفزتني .

يجب أن تؤمن بأن الحب هو علة مصائبي جميعا إن "ماري مرغريت" هي حياتي .. وإذا ماتت .. أصبحت والموتى سواء .. فانقذها بالله يا سيدي .. إن لك القدرة على إنقاذها .. إنك تختلف عن سائر من عرفت من الرجال وقد كان في مقدورك حين رأيتني أن تبادرني برصاصة تخلصك من الرجل الذي حاول مرارا أن يفتك بك .. ولكنك لم تفعل وأوسعت لي صدرك .. وأصغيت إلى قصتي في صبر وأناة . وهذا يدل على أنك تنشد الحقيقة ولا تنشد سواها ..

والحقيقة هي ما ذكرت لك .. نحن الثلاثة أبرياء من كل ما ارتكب من جرائم فانقذها يا سيدي .. أضرع إليك أن تنقذها . إنها حاولت الانتحار مرة .. وستحاوله مرات حتى تتخلص من حياة السجون .. لا شيء في الوجود يستطيع أن يعوق طالب الموت من تحقيق بغيته ..

وإذا كانت العدالة في حاجة إلى مذنب تقتص منه .. فأنا على استعداد لأن أكون ذلك المذنب .. أنا على استعداد للاعتراف بجميع الجرائم .. وقبول العقوبة مهما تكن ..

كل ما أريده هو أن يطلق سراح "ماري مرغريت" . فتنجو من السجن.. وتنجو من الموت .

قال ذلك وسالت شجونه دموعا انحدرت من ماقيه في صمت .. وأجهشت "فلورنس" بالبكاء وأحس "بيرينا" بحزن عميق يعصر قلبه عصرا .

كان الشعور بصدق "سوفيران" وبراءة هؤلاء القوم التعساء يغزو قلبه بالتدريج منذ البداية . نعم .. إن "فلورنس" بصفة خاصة .. لا يمكن أن تكون المجرمة التي تخيلها ..

قال أخيرا :

- أرجو ألا يكون قد فات الأوان .

ولكنه لم يكد ينطق بهذه العبارة حتى سمع طرقا بالباب ودخل كبير

الخدم . فنظر إليه "بيرينا" متسائلا .

قال كبير الخدم :

- المفتش "ويبر" .. يطلب مقابلتك .

فاسرع "بيرينا" لمقابلته وعندما شاهده وقف وصافحه فقال له بيرينا":

- أنا أعرف لماذا طلبت مقابلتي ، إنك لا تزال مصرا على إلقاء القبض علي بعد أن انتهت أحداث هذه القضية فقد عرفتني في أول مقابلة في مكتب رئيس البوليس "ديماليون" ، فإن ذاكرتك القوية لم تنس الأحداث الماضية التي وقعت بيننا ، إنك لا تنسى "أرسين لوبين".

- لن ألقي القبض عليك في هذه المرة بعد هذا الجهد الذي بذلته في معاونة الشرطة لكشف غموض هذه القضية .

اقرأ بقية الأحداث في العدد القادم وعنوانه

(الميراث المشؤوم)

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك
مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦				

الإسـم : ....

العنوان : ....

....

ص.ب .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولـة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس اداب		
٢	ارسين لوبين بوليس سري		
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	ارسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	ارسين لوبين في موسكو		
٨	ارسين لوبين في قاع البحر		
٩	ارسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع ارسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات أرسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		